

26

روايات مصرية رعبية

الظاهرة

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كي يظل
حيًا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل طبييًا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكامبيرون) ..

تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلى البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com

مقدمة

(سافارى) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة
(سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى)
فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال
(إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت تصطاد
المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية
لا تنتهى .. وبيئة معادية .. وأهل متشككين ..

بطلنا الذى سنقبله دومًا ، ونألفه ، ونتعلم أن نحبه
هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى ككل الشباب ..
اختار أن يبحث عن ذاته بعيدًا وسط أدغال (الكامبيرون) ، وفى
بيئة غريبة وأمراض أغرب وأخطار لا تنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) .. نعيش معه
ذلك العالم العجيب الذى لم تنجح الحضارة فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة المجاتين ..
وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين لا يمزحون ..
وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

« الآن بدأ الزمن يزحف على .. إننى مصاب بالسكرى
وارتفاع ضغط الدم .. وحالة قلبي ليست على ما يرام ..
لاحظ أننى لم أتلق أية أدوية محترمة طيلة هذه الأعوام ..

« عرفت أننى أموت .. لكن فكرة الموت لم تثر رعبى ..
ما أثار رعبى هو أن ألفظ أنفاسى هنا فتتوقف تجاربنى
العظيمة وكل ما عشت من أجله .. من المؤسى أننا نموت
بعد ما اكتسبنا ذروة الخبرة ..

« وهكذا بدأ مشروعى الأكىبر .. بدأت بتحطيم كل البلورات
كى يتحرر ما فيها من طاقة .. كنت بحاجة إلى قوة عظمى
متحدة .. ويبدو أن هذه الطاقة كانت تعرف كيف تتحرر من
خلال المدخنة فوق القمة .. تخرج منها وتعود لها .. لقد
شهد الجبل أياماً مروعة .. الناس يرون أشباحاً ، وثمة أشياء
مخيفة تهاجم البيوت .. وأفراد القبائل يرون الموتى بين
أكواخهم .. أعتقد أن هذه كانت جميعاً هلاوس بصرية ..

« بعد هذا كتبت هذه الأوراق .. وحين أفرغ منها سادخل
المفاعل وأرقد مع كل هذه الطاقة التى استخرجتها عبر
عشر سنوات .. سأحاول - فى لحظات احتضارى الأخيرة -
أن أبحث عن شاب قوى يتلقى كل ما لدى من علم .. شاب
يستكمل تجاربنى من النقطة التى انتهيت عندها ..

ملحوظة مهمة : أكثر المصطلحات والأسماء الغربية الواردة
هنا قمت بكتابتها بالإنجليزية ، والسبب ليس التحذلق ولكن
لأن بعض الأصدقاء طالبونى بهذا مراراً ، ليسهل عليهم
معرفة الهجاء الصحيح ، فالبحت عن المزيد من التفاصيل
فى الإنترنت إذا أرادوا .. هذا مطلب عادل مهم .. ولسوف
أحاول الالتزام به فى كل ما أكتبه فيما بعد إن شاء الله ..

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

« أنا بحاجة إلى طبيب .. طبيب شاب قوى .. يجب أن يأتي إلى هنا ويفتح المفاعل ويتلقى طاقتي و طاقة مواضيع تجاربي .. أعتقد أن هذا سيجعله أنا آخر .. لكن كيف أحضر الشاب إلى هنا؟ كيف أقتعه بتسلق (كليمنجارو)؟ كان هذا مستحيلًا حتى فكرت في (سافاري) .. في (سينوريه) الذي كان سبب توقف تجاربي .. ترى هل مازال هناك؟ هل مازال حيًا؟

« أعرف أنني أستطيع .. أعرف أنني سأجعله يرسل لي شابًا بحجة واهية .. سأجعله يقتنع ويقتنع كل أحبائه .. فقط أريد كل هذه الطاقة .. لو كانت تسبب هلاوس سمعية وبصرية للأهالي فإنها قادرة على الإيحاء ..

« والآن يا عزيزي الطبيب الشاب الذي لا أعرف اسمه .. لقد جئت .. لقد تلقيت الطاقة .. إنها في كل جزء من جسدك الآن .. ستجدني بالتأكيد جثة هامة ، لكن طاقتي موجودة وهي داخلك الآن .. مع طاقة عشرات الأفارقة الذين ماتوا وهم يتعذبون ..

« سامحني على ما قمت به .. وأتمنى لك حظًا سعيدًا في تجاربك القادمة ..

بإخلاص : إرنست كومارسكي

صفحات من مذكرات د. (علاء عبد العظيم) :

السبت ١٨ مايو :

العودة إلى الوطن ! ثلاث كلمات لكنها تعني أشياء وأشياء .. لا أعرف كيف يعتبرها البعض تجربة بسيطة .. إنني لأجد فيها ذات غرابة وإثارة العودة من المريخ إلى الأرض .. منذ دقائق .. ساعات .. أيام .. لا يهم .. منذ فترة ما ، كنت في عالم آخر .. مشكلات أخرى .. وجوه أخرى .. لغات أخرى ..

كان هناك جزء من عقلي يسيطر على كل شيء .. هذا الجزء يتكلم ويفكر بالفرنسية ، وله مشكلات وخبرات طبيب من وحدة (سافاري) .. فجأة انتهت سيطرة هذا الجزء وتولى زمام الأمور جزء آخر يتكلم العربية .. يحب كرة القدم ، ويعشق الكشري ، وله زكريات بنت الجيران و (الدوم) والكرة الشراب .. من جديد صرت في الجو ، وعادت الحياة إلى كل ركن ، بينما كنت أحسب أنني لن أتأقلم إلا بعد شهور ..

أنا أعرف أن تحول د. (جيكل) إلى مستر (هايد) كان
أليماً .. لم أر قط تحولاً يتم بهذه البساطة والسرعة .. والآن
يخيل لي كأن (سافاري) كلها كانت حلمًا ما .. حلمًا مثيرًا
فيه أوبنة وقبائل وجبال يغطيها الثلج ..

الرابط الوحيد بين العالمين والذي يبرهن لي على أنني كنت
بالفعل (علاء عبد العظيم) في العالمين هو من تمشى بجوارى ..
زوجتي للرفيقة التي تضع قدمها على أرض مصر للمرة الأولى ..

متوجسًا هامسًا قلت لمصر وأنا أخرج من باب المطار :

- « ما رأيك فيها ؟ هذه هي ! »

تأملتها مصر في اهتمام .. ثم غمغمت :

- « هذه إذن من كنت تفكر فيها وأنت نائم ، وتحلم بها
وأنت مستيقظ ؟ »

شعرت برعب وقلت وأنا أبتلع ريقى :

- « ألا تستحق ؟ »

قالت في حكمة :

- « عهدي بك أنك لا تحب بعقلانية بل تنزلق .. (تتدلّق) كما
يقول التعبير العامي الموفق .. لكن على كل حال .. لا بأس
بها .. مهذبة رفيقة هي .. وأعتقد أنني سأحبها .. »

- « صدقيني .. إن من لا يحب (برنادت) لم يولد بعد ..
إنها تذكرني بـ (ميكى ماوس) أو (شارلى شابلن) .. شيء
عالمي يتفوق على مقاييس الاختلاف البشرى .. »

ابتسمت في حنكة وحكمة المجربات اللاتي لا يبهرهن
شيء ، وقالت :

- « ليس إلى هذا الحد .. أنت لهب مشتعل لا يعرف
الاعتدال ، لكنى أعتقد أنها طيبة وتناسبك .. »

عندئذ عرفت أن مصر و (برنادت) ستكونان صديقتين ..
ربما أكثر ..

وقالت لي (برنادت) وهي ترى شرودي وأنا أدفع الحقائق :

- « فيم الصمت ؟ »

طبعًا لم أستطع إخبارها بالمحادثة التي تمت بيني
وحماتها الكبرى (مصر) ، لهذا قلت وأنا أدفع الحقائق :

- « أتساءل أين ذهب (أشرف) ذلك الأحمق .. »

كان ذلك الأحمق بانتظارى بسيارته (الفيات - ١٢٤)
المرعبة .. في مصر تتحول السيارة إلى كائن خالد لا يفنى ..
مهما حدث لها ومهما دارت السنون هناك دائمًا الأسطى

(عباس) أو (رمضان) الذى يستطيع إعادتها للحياة ..
وأنا على كل حال أهيم حُبًا بهذه السيارة التى استولت
عليها أسرتى بوضع اليد .. كل مهمات الأسرة وكل مشوار
شاق لابد من توريط (أشرف) فيه .. لا أنسى العودة من
الكلية فيها ، خاصة أيام المطر ، والاندفاع فى البرك كى
يفرق الفتيات الواقفات كقطط حذرة إلى جانب الطريق ،
فيتصاعد سبابهن وهن ينظفن تنوراتهن بالمناديل الورقية :
يا حيوان .. يا متخلف ! أصارحه برأى فى أنهن على
حق .. وإنه حيوان متخلف فعلاً فيضحك .. والحقيقة أنه
طفل كبير مزعج وطيب القلب إلى حد لا يوصف ..

أما عن مظهره فهو يزداد صلغاً وبدانة فى كل مرة ..
ويبدو أن خلاياه حسبت نفسها خلايا كائن آخر أصلع بدين
هو فرس النهر ..

تعانقتا على حين وقفت (برنادت) فى وقار على بعد
خطوات .. إن (أشرف) أعز صديق لى ، ويصعب وصف رحلة
حياتنا معاً .. من بعيد يأتى أخى الذى كان يراقب الباب
الآخر .. إنه يشبهنى تماماً فى الشكل والحجم - ولهذا كان
يسرق قمصتى - لكنه أكبر سناً حليق الوجه لا يضع العوينات ..

حتى هذه اللحظة ما زال الجليد موجوداً ، لكنى أعرف أنه
سينوب حالاً .. (برنادت) رقيقة طيبة ، وأهلى طيبون بسطاء ..
إن اختلاط الكحول مع الماء ليس صعباً على الإطلاق ..

وانطلق السيارة فى رحلة العودة .. أنا فى المقعد الخلفى
مع (برنادت) أشرح لها كل شىء بالفرنسية ، بينما يثرثر
(أشرف) مع أخى فى المقعد الأمامى ومن حين لآخر
يهتف وهو ينظر لى فى المرآة :

- « النبى عربى يا أخ (علاء) يا خريج (الميزانسين) .. »

لسبب ما يصر على أن (ميزانسين) هو اسم مدرسة
فرنسية .. فأقول له :

- « عليه الصلاة والسلام .. ثق من أننى لم أحك فضائحك
بعد .. هذه لا تحكى إلا بالعربية .. »

ليل القاهرة .. الأضواء .. مسحة الحزن التى لا أفهمها ..
متعبة هى القاهرة وحزينة ، لكنها برغم تعبها لم تنم ..
ظلت ساهرة تنتظر طائرتى لتبتسم لى مرحبة ..

حسن .. سأحاول اختصار اللقاء .. هناك الكثير من الغناق
والأحضان والبكاء ..

أمى لا تتحرك تقريباً ولم تعد ترى .. لكنها على الأقل
بكامل وعيها وقد سرنى هذا كثيراً ، وقد أحببت (برنادت)
كما توقعت .. الصعوبات اللغوية جمّة ولا بد من مترجم ..
لكن التفاهم واضح ..

فقط همست في أذنها بالسر الذي لم تعرفه بعد ، فراح
تبكي ، وأعلنتها صاحبة مدوية .. (علاء) الطفل الذي كان
يبذل كوافيله سيكون أباً بعد ثمانية أشهر ..

الجانب الأثوى في استقبال (برنادت) قامت به زوجة
أخي ، وقد أعدت لنا عشاء لا بأس به .. بينما راح أخي
يحاول التفاهم مع (برنادت) بالإنجليزية .. وهي تتكلمها ،
لكن إنجليزية أخي تحتاج إلى ما هو أكثر من فهم اللغة ..

الخلاصة أن اللقاء كان ناجحاً بحق .. وأدركت أن الأيام
التالية ستشهد المزيد من الاندماج .. ستعرف (برنادت)
الكثير عنا .. فقط أتمنى أن يكون لقائى أنا سهلاً .. لقاء
الأب الكندي الثرى السمج .. رجل الأعمال الذي يشعر بأثني
سلبته ابنته .. لكن هذا اللقاء لن يأتي إلا بعد عام من
الآن .. ترى من يعيش إلى ذلك اليوم ؟

وفي غرفتي التي أعدتها الأسرة وأزالت كل ما يمت
بصلة لي ، والتي قاموا ببياضها من جديد منذ أسبوعين ،
قالت (برنادت) وهي تقف في الشرفة ترمق الشارع
المزدحم الصاخب :

- « أعتقد أنني سأحب بلدك .. أسرتك لطيفة فعلاً .. »

ولم أخبرها أنني لم أكن قلقاً بصدد رأيها في أسرتي ..
ما أقلقني هو رأى أسرتي فيها ..

لكن النتيجة إيجابية ، ولو مت الآن سأموت سعيداً ..

راح (برنادت) تفرغ الحقائب .. توقفت أمام ملف كبير
مزدحم بالأوراق وسألتنى :

- « ما هذا يا (علاء) ؟ لم أراه في أثناء إعداد الحقائب .. »

ومدت يدها تفتحه لكني هرعت فأخذته منها ، وفتحت
خزانة الثياب وتسلمت على الإفريز الخشبي الأسفل لأدسه
في أعلى موضع من الخزانة .. المكان الذي يفوح برائحة
(النافثالين) حيث كنا نضع فيه بطاطين الشتاء حين يأتي
الصيف ..

قلت وأنا أؤدي هذا العمل لاهثاً :

- « هذه أوراق تخص دراستي .. إنها مختلطة جداً
ولو لمسها أحد لعجزت عن فهم حرف .. »

لم تعلق وواصلت البحث .. بينما نظرت أنا إلى أعلى ..
لهذا الموضع من الخزانة مفتاح .. أذكر هذا وإن كنت
لا أعرف أين هو .. يجب أن أجد هذا المفتاح وأغلقه جيداً ..

الاثنين ٢٠ مايو :

لم أتمكن من الراحة إلا هذه اللحظة ، وقد دخلت
(برنادت) فرأتني منهمكاً في الكتابة الآن .. تسألني :

- « ماذا تفعله ؟ »

أقول لها :

- « أكتب خواطر هذه الفترة .. إنها مدهشة ولا أريد أن
أنسى شيئاً .. »

بالطبع الخواطر بالعربية .. لا تفهم حرفاً .. هذه هي
المزية الأهم في الزوجة غير المصرية .. تمط رأسها
محاولة فهم شيء .. بالنسبة لها من يكتب العربية هو
إنسان فذ .. ثم تقرر أن تتركني لخواطري هذه ..

ماذا كنت أقول ؟ كنت أقول إن اليوم كان مرهقاً بحق ..

لا بد من أن تستقبل عشرات الوجوه الباسمة التي لا تذكر أنك
رأيتها من قبل .. هذا هو المهندس (عصام) حبيبك .. متى
أحببته ؟ لا أذكر .. لا أذكر أننا جلسنا تحت شجرة نحفر

لا أتوقع أن تجرب الفضول هذه الليلة .. لكن ماذا عن غد
وبعد غد ؟

ماذا عن اللحظة التي تدرك فيها أنني أتصرف بشكل غير
مألوف ؟؟؟

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

اسمينا على لحائها .. وهذه مدام (ثريا) .. صديقة (مى) .. هل
عرفت؟ طانط (إنصاف) فى المستشفى .. يبدو أن الورم
عاد .. يا للكارثة! من هى طنط (إنصاف)؟ بالطبع هى خالة
(مروان) .. لكن لا بد من أن نزورها اليوم بالذات .. حاملين
الشيكولاته المقدسة إياها التى لا يمرض الإنسان أو يموت
من دونها ..

وهناك من يصفحك فى حرارة والعرق يغمر جبهته ..
يضغط على أسنانه ويزداد قسوة وأنت لا تفهم من هو .. ثم
يردد فى هستيريا :

- « لا بد من أن تشرفنا بزيارة .. أقسم بالله إن الوالدة
ستسعد .. نعم .. أؤكد لك أن الوالدة ستسعد .. أنا أعرف
يقينا أن الوالدة ستسعد ! هى قالت لى إنها تعتبرك أنت
(عبد المؤمن) ابنها .. »

ويهبط فى الدرج وهو يصيح حتى ليوقظ الجيران من
نومهم :

- « أؤكد لك أن الوالدة ستسعد ! »

فلو أضفنا لهذا أنه مراقب مالى وإدارى ، لفهمنا كيف أننى
وزوجتى لن نسعد كثيرا بهذه الزيارة ، مهما كانت سعادة
الوالدة ..

هناك صديق قديم عرف بقدمى ، وسررت حقاً بقلائه
هو (مختار أبو سيف) .. إنه زميل دراسة مختص فى
الطب النفسى حالياً وهو بارع بحق كما يقولون .. يبدو أنه
الطبيب الوحيد فى كليته الذى تنشر الدوريات العالمية بحوثه
على الفور ، وقد بدا لى غريباً أن هذا الصديق الذى عشت
معه أتص وأظرف أعوام المراهقة يمكن أن يكون مرموقاً ..
سألته عن عيادته الخاصة فعرفت أنها فاشلة تماماً .. هذا
يؤكد ما قلته من أن نجاح العيادة لا يعتمد على مقدرتك العلمية ،
ولكن على مقدرتك الاجتماعية .. ولهذا يذهب (مختار)
إلى عيادته ليقضى يومه فى قراءة الدوريات على الإنترنت
أو محاولة النجاة بحياة الأخت (لارا كروفت Lara Kroft)
فى لعبة (المغيرة على المقابر) .. أو محاولة تحويل ملفات
AVI إلى MPEG .. يقولون إن الطبيب الناجح فى عيادته
منهك جسدياً ، والفاشل فى عيادته منهك نفسياً .. لكن
(مختار) بلغ درجة الرضا بلغتنا .. أو (النرفانا) بلغة
البوذيين واليوجيين ..

تعرف (مختار) (برنادت) وأعتقد أنها ارتاحت له على
الفور ، خاصة وأنه يجيد الفرنسية .. لكنه - كأي شيء جيد -
لا يبقى طويلاً .. إذ سرعان ما رحل تاركاً إياتنا بين براتن
المراقبين الماليين وطانط (فيفى) وطانط (عزيزة) ..

هكذا تنتهي من كل هذه الواجبات شاعراً بأنك حطام ..
دعك من أطفال الأسرة الذين اعتبروا (برنادت) فقرة من
فقرات السيرك .. والفتيات خريجات اللغة الفرنسية اللاتي
وجدن فيها ضالتهن .. كل هذا والرقيقة البسيطة تبتسم في
رقة طيلة الوقت .. صحيح أنها كانت تعاني عذاباً مقيماً
خاصة مع الحمل الذي يجعل الدوار عادة .. لكنها
تماسكت .. فقط دخلت الحمام مرتين لتفرغ معدتها .. فكما
قلت يعتبر جسمها الجنين غزواً أجنبياً يريد التخلص منه ،
إلى أن تتعود بعد الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل .. أضف
لهذا (إسهال المسافرين) الذي يصيب كل غربي يزور قطراً
شرقياً .. وهو لا يقتلهم جميعاً للأسف .. هناك ناجون من
حين لآخر ، لكنه يسبب متاعب لا حصر لها .. والكارثة هنا
أننى لا أجروء على إعطائها أى دواء في هذه الأشهر الخطرة
من الحمل ..

فرغت من هذا كله فجلست أرتب أفكاري ..

ليست لدى فكرة واضحة عما يجب عمله .. لكنى أدرك
يقيناً أننى أحمل واجباً .. إرثاً .. مهمة كلفت بها وأنا فى
ذلك الكهف البارد فى (كيبو) .. وليس لى أن أتخلى عن
هذه المسئولية ..

جلست أقرأ الأوراق المكتوبة بالبولندية .. لسبب ما صرت
أجيد البولندية تماماً .. لا أعرف السبب ولا يخيفنى هذا ..
يبدو أن اللمسة التى منحنيها (كومارسكى) هى أنه جعلنى
أشعر بأن هذا طبيعى جداً ..

إن الخطة بسيطة .. الإعداد سهل ..

الكارثة الحقيقية هى أن تبدأ العمل فعلاً ..

هذه نقاط يمكن دراستها على مهل ..

ما يضايقنى فى الموضوع هو أن معى زوجتى الأجنبية ..
وهذه الزوجة لا بد من أن ترى مصر ، وأن تقضى نوعاً
من شهر العسل هنا .. لا وقت لدى لهذا .. تكفى رحلة إلى
الأقصر وأسوان كى تهدم جدولى الزمنى ، فماذا عن
(سيناء) و (الإسكندرية) والبحر الأحمر ؟

سأحاول إنهاء هذه الأمور سريعاً لأتفرغ للعمل ..

الثلاثاء ٢٨ مايو :

بالطبع وقعت (برنادت) فى غرام مصر .. لا أرى فى هذا معجزة ما .. إن من لا تقننه مصر لا يمكن أن يقننه أى شىء فى العالم .. تكلم عن الفراعنة ولسوف تجد ما يسرك .. تحب الآثار الإسلامية؟ هناك الكثير .. آثار قبطية من عصور الاستشهاد؟ مرحباً بك .. وماذا عن الرومان واليونان؟ تحب الريف والخضرة؟ هنا مرادك .. تبغى الغطس والشعاب المرجانية؟ أم تحب الصحراء؟ أم أنك من الطراز الكنيب الذى يمقت الحياة والبشر؟ لا تقلق .. إن كثيرين قبلك قفزوا فى النيل وأحبوا ذلك ..

نعم .. تحدث عن كل شىء من فضلك لكن لا تتحدث عن افتتان (برنادت) بمصر كأنها ابتكرت شيئاً جديداً ..

حين عدنا إلى الدار ، تركتها للمرة الأولى منذ عشرة أيام ، وقلت إننى سأقوم بإنهاء بعض الأعمال .. تركتها مع أمى فى الصلاة فى ذلك المشهد الذى طالما حلمت به فى (سافارى) : امرأتان تجلسان أمام التلفزيون ، بينما أمى

تعد القهوة على (السبرتاية) إياها .. صحيح أن حركاتها صارت ثقيلة جداً لكنها تعرف كيف تعنى بأمرها ، وبرغم أنها كفيفة تقريباً ، فهى تذكر مكان كل شىء فى منزلها الذى نظفته ١٥٠٠٠ مرة من قبل .. وبدا لى أنهما قادرتان على التفاهم .. إن (برنادت) تريد أن تسعدنى ، ولسوف تعنى بوالدتى جيداً .. والعكس صحيح .. ثم إن تحرش الحموات لن يكون سهلاً بالفرنسية ..

قال لى (أشرف) وهو يحاول جاهداً ضخّ الوقود إلى المحرك (لأن البيك مسدود كما قال) :
— «العنوان فى (حلوان) .. هل أنت واثق من قرارك؟»

نظرت من النافذة وقلت فى غموض :

— «أنا واثق ..»

— «هذه المشروعات تفشل دائماً صدقتى .. لا أعتقد أن أى مشروع ينجح ما لم يتعلق بالطعام ..»
— «سأجرب ..»

وكان (حجازي) السمسار إسكافياً له ورشة صغيرة
متسخة مسودة الجدران .. وقد جلس غارساً كعب حذاء في
صدره حين رأنا ، فهتف في حماسة تدعونا للدخول ، وصفح
الصبي الأبله النائم جواره على قذاله يأمره بأن يعد شيئاً
للبيكوات ، لكننا اعتذرنا بأننا متعجلون .. هكذا ألقى بما في
يده ومسح يديه في منشفة زادتتهما اتساخاً ، ولحق بنا
ليجلس في المقعد الخلفي للسيارة وانطلقنا ..

وراح يصدر التعليمات لـ (أشرف) من مكانه :

- « أول منحني على اليمين (بلاقافية) .. يسار .. يمين ..
يمين .. خذ الحذر .. هنا بالوعة مفتوحة .. نعم .. (الله ينور
عليك) .. هذا الشارع .. هل ترى هذه البناية المهدامة ؟
أمامها شجرة عجوز (بلاقافية) .. نعم .. هنا .. قف يا بك .. »

وترجلنا من السيارة .. ووقفنا في هذا المكان القفر ..
بالضبط كما أردت وتمنيت .. كانت هناك ثلاث قطع من
الأرض لم يتم بناؤها بعد ولن يتم أبداً ، لأن تنازع الورثة
سيبقى إلى يوم الدين .. هناك كومة من القمامة كأنها جبل
صغير .. هناك بركة مياه لا أعرف مصدرها لكنها هناك
تشرب منها بعض القطط ..

فتح السمسار باب البناية بمفتاح كان معه ، فأعاد
(أشرف) السؤال :

- « هل أنت متأكد من أن أحدًا لن يقيم هنا ؟ »

قال في ضيق كمن أهينت كرامته :

- « لا أحد يا بك .. البناية ملكنا (بلاقافية) .. وليس
بيننا من ينوي السكنى فيها .. »

ثم تقدمنا في درج متآكل عتيق .. وصعدنا خلفه حتى لم
يعد هناك من مزيد .. ثمّة شقة مغلقة في الطابق العلوي
تطل على السطح الخالي .. برغم كل شيء أشعر أن هذا
المكان بهيج .. إنه موحش إلى درجة تجعله ساحراً ..

فتح الباب فطالعتني الشقة الكئيبة الخالية .. لا بد أنها
رأت أياماً أفضل فيما مضى .. لكنها واسعة .. وحين تفتح
نوافذها يطالعك فراغ مريح في الجهات الأربع ..

- « ستجد هنا أن (الطراوة ترد الروح) .. »

هزرت رأسي بمعنى أنني موافق ، فناولني المفتاح والعقد ..
طبعاً يفترض النصاب أن الشقة مفروشة ؛ لأن فيها مقعداً
محطماً ومرآة قديمة لم يتبق شيء من سطحها الفضي ..

- « قلت تتوى استخدامه فى ماذا بالضبط ؟ »

فى صبر قلت ما قلته ألف مرة على ما أظن :

- « مشروع ما.. يشبه ورشة لتجميع أجهزة الكمبيوتر

وبيعها .. »

- « وتريد هذا المكان القفر ؟ كنت أحسب تجارة الكمبيوتر

تحتاج (بلا قافية) إلى مكان نظيف فى وسط البلد .. »

قلت فى خبث بلهجة من لا يريد التفسير أكثر :

- « ليس لدى تصريح .. هذه الأمور تحتاج إلى ظن من

الأوراق الإدارية .. ثم المصنفات والضرائب .. إن التعامل

معهم مشكلة .. أنت تفهم هذه الأمور .. »

قال مضيقاً عينيه فى نكاء بلهجة من عرك الحياة وعركته :

- « نعم .. نعم .. أخو زوجتى الثانية (توحة) يتاجر فى

المخدرات .. وهو يرى الأمرين من الحكومة .. لكن أكل

العي .. »

فى دُغر هتف (أشرف) :

- « لا يتكلم عن المخدرات يا أحمق .. يتكلم عن الكمبيوتر ..

هو بحاجة إلى مكان منعزل لكن الأمر لم يصل لهذا الحد .. »

فى طريق العودة ونحن نحمل السمسار إلى ورشته ،
سألنى (أشرف) وهو شارداً الذهن :

- « منذ متى تهتم بالكمبيوتر ؟ معلوماتى أنك أجهل من

دابة فى هذا الصدد .. »

- « لا تعرف كم من التغيرات طرأت على هناك .. لكن

لا بد للمرء من ترتيب حياته فى مصر لو عاد يوماً ما ..

من العسير أن يفكر المرء فى نجاح عيادة يبدأ العمل فيها

فى هذه السن .. لا بد من مشروع بعيد عن الطب ، ثم إننى

أرجو ألا تعرف زوجتى شيئاً عن هذا الموضوع .. »

لقى بلقافة تبغه من النافذة وقال :

- « أما هذا فلا شك فيه .. إلى أن أعرف كيف أقول هذا

كله بالفرنسية سيكون مشروعك قد فشل وانتهى الأمر .. »

ولذت بالصمت .. كنت أفضل أن يتم الأمر دون شهود ،

لكن كيف لمثلنى - وأنا نصف غريب - أن أجد بيتاً مقفراً من

دون سمسار ، وكيف أجد سمساراً من دون الاستعانة

بصديق ؟ المهم أن ألتزم السرية وألا يعرف أحد ما يدور فى

هذا البيت حقاً ..

الأربعاء ٢٩ مايو :

قضيت ست ساعات كاملة أقوم بتركيب ما اشتريت .. عملية معقدة ، لكن الدوائر والتوصيلات كانت في ذهني بوضوح تام .. كأنما كنت أمارس هذا العمل منذ نعومة أظفاري ..

كنت قد ابتعت ثلاجة أفقية ، وقمت بنقلها مع ما ابتعت من إلكترونيات في سيارة واحدة .. وبمجرد أن صرت وحدي فتحت باب الشقة لتهب منه أنسام أبدية لا أدرى من أين تأتي .. أمامي السطح الخالي وذلك الشعور البهيج بالراحة .. الشعور بأن البناية كلها ملكي ..

برغم هذا أنا قلق بصدد حرارة الجو .. هذا المكان معتدل الجو ، لكن ليس (مايو) هو أفضل شهر يمكن فيه إجراء تجارب كهذه .. ورحت أمل أن يكون ارتفاع الشقة مناسباً ..

« الملاحظة الثانية المهمة هي أن هذه الطاقة تكون في أعلى نشاط لها حين توضع في حرارة منخفضة أو في موضع مرتفع ، لا أعرف تفسير ذلك لكن هذه ملاحظاتي على كل حال .. كانت الطاقة تتوهج إذا ما جمعتها من مرضى الطابق الثاني أكثر منها مع مرضى الطابق الأرضي .. »

ضغط (أشرف) على دواسة البنزين في توحش ، كى يسلك (البيك) كما قال ، والذي لا أعرف ما هو ، وسألني ونحن عائدان إلى (شبرا) :

— « سوف تحتاج إلى سيارة .. إن المشوار شاق حقاً .. »

كانت القيادة مشكلة بالنسبة لي ، لكني قررت أن أجيدها .. ربما أستطيع الحصول على رخصة قيادة بسرعة .. رباه ! إن مخي يوشك على الانفجار من كثرة ما يجب عمله !

أما الخطوة الأهم فهي المرور على بعض المتاجر التي تتعامل مع الإلكترونيات .. هناك دوائر لا بد من البحث عنها .. أريد ثلاجة أفقية صغيرة و .. يجب أن أكتب قائمة بهذه الأشياء ..

فَرَعْتَ من كل شيء وكان الظلام قد بدأ يقترب .. ألقيت
نظرة أخيرة على المكان .. منات الأسلاك والدوائر ، وألف
وصلة تم تثبيتها بالشريط الكهربى العازل .. حين أنظر إلى
هذا كله أكتشف الحقيقة المروعة : ليس لى أدنى علم بهذا
الذى قمت به .. ولولم يكن ميراث (كومارسكى) فى عروقى
لما تمكنت من عمل وصلة واحدة .. أنت تفهم الأمر ..
لو نظرت إلى الرسم التفصيلى الدقيق لجهاز إلكترونى ، ورأيت
تلك المتاهات التى لا تعرف أبداً من أين تبدأ ولا أين
تنتهى .. ولو تذكرت أن التعليمات الإرشادية كانت بالبولندية ،
لأدركت كم الذهول الذى شعرت به وأنا أنظر إلى ما قمت به ..
أنا عبقرى .. لا .. (كومارسكى) عبقرى ..

لقد أوشكت إعدادات الحفل أن تكتمل فلم يبق إلا المدعوون ..

وهنا مزية أخرى للزوجة غير الفضولية .. إنها لا تكتر من
الأسئلة متى شعرت بأنك لا تشتهى الثرثرة .. ماسر التأخير ؟
إنها الإجراءات ، وهذه مصر يا صغيرة .. أنت فى بلد الكاتب
الجالس القرفصاء ، حيث لا بد للمرء من ألف ورقة يثبت بها
أنه على قيد الحياة ، وألف ورقة أخرى يثبت بها أنه مات ..

أعدت لى طعام الغداء الذى صار عشاء الآن ، وكانت قد
فهمت كل مجاهل المنزل .. تعرف أين يخبنون السكر والشاي
والبن .. وتعرف أن علبة الثقاب توضع فوق الثلاجة ،
والملاعق فى درج (البوفيه) العتيق فى الصالة ..

قالت لى وأنا أملاً فمى بالمكرونة :

- « حالة والدتك الصحية غير مطمئنة .. قياسات السكر
فى الدم كلها تفوق المعدل .. لقد زدت لها جرعة الإنسولين
قليلاً .. »

- « م م م .. مما ممين .. مما بك ! »

- « هه ؟ »

ازدردت ما فى فمى وعدت أكرر الجملة بوضوح أكثر :

- « افعلى ما تريدين فأنا أثق بك .. »

- « وحالة عينيها .. فى الحقيقة هى تستأهل عناية أكثر
مادمننا هنا .. أقترح أن تتفرغ لها بضعة أيام .. »

ماذا ؟ وقتى لا يسمح يافتاتى .. سوف نعود خلال ثلاثة
أسابيع إلى (الكامبيرون) .. إن حالة والدتى مستقرة ..
سيئة لكنها لن تتحسن ولن تتدهور .. لن تجرى الجراحة

الخميس ٣٠ مايو :

كان يقول :

« ثم بدأت التجريب على المحتضرين من البشر في وحدة (سافارى - ١) ..
ولاحظت ملاحظة صجيبة .. إن الاحتضار في سلام ومن دون ألم
لا يعطيني من هذه الطاقة القدر الكافي .. يمكن أن أقرب المشهد
لنهنك باعتصار الليمونة .. كلما ضغطت أكثر كلما أعطتك عصيراً أكثر .. »

لقد صرت أحفظ كل حرف في هذا الخطاب ، والكابوس
الذي كان يطاردني هو أن يقع بين يدي (برنادت) .. أنكر
يوم عدت لها من (كليمنجارو) محطماً متفسخ الأعضاء
بعد ما ودعت (تارو) و (ماسومو) .. سألتني عما حلّ بي
هناك فقلت لها في غموض : مات الرجل وحده في الجبل ..
سألتني عن كل هذه الأوراق التي معي ، فقلت إنني لم أرد
أن أتركها .. بالتأكيد سوف ترغب أسرة البائس في أن
تجدها .. سأرسلها لآله بمجرد أن أجدهم ..

نفس الشيء قلته للمدير ، وكان غامضاً في قبول ما قلت ..
لكنه يفهم وأنا أفهم .. لقد صارت اللعبة مكشوفة ، ونحن

أبدأ .. هي لا تريد .. أكره من يقول لي ما يجب أن افعل ..
من أنت كي تزعمي فهم تفاصيل عشنا فيها نحن عدة
أعوام ؟

لكني لم أرد أن أفسد الأمور فقلت وأنا أمضغ المكرونة
دون أن أتذوقها :

- « ليكن .. أي شيء .. فقط أعطيني مهلة أفرغ فيها
من هذه الأوراق .. »

نظرت لي في شرود ولم تبد مقتنعة جداً ..

تري متى ستقول لي : أنت تغيرت يا (علاء) ؟ ستقولها
حتمًا .. فقط أنت تقولها متأخرة ..

www.dvd4arab.com

Hany3H
www.dvd4arab.com

نتعامل بطريقة (نحن - نعرف - ما - هناك - لكننا - لن - نتكلم - بصوت - عال) .. وهى طريقة عتيقة ..

ذات مرة كنت أنقب فى درج أخى ووجدت مجموعة من الخطابات الغرامية الحارة جدًا ، كتبتها له فتاة تدعى (مى) .. وكنت مراهقًا سخيًا لهذا راق لى ما فى الأمر من دعاية .. أخذت الخطابات وأخفيتها فى موضع آخر .. الآن صرنا فى وضع فريد : أخى يعرف أننى سارق الخطابات لكنه لا يجرؤ على اتهامى ، لأنه لو اتهمنى لاعترف بأن هناك خطابات .. وأنا ملاك لا يعرف شيئًا .. يدنو منى وينظر فى عينى بشك قاتل ، ثم يسألنى : هل وجدت شيئًا وأخفيتته ؟ فأقول ببراءة : أى شىء ؟ ماذا تعنى ؟ يقول لى : الشىء الذى أخفيتته ! فأقول : لو قلت لى ما هو لفكرت فى الأمر .. كيف أتذكر إخفاء شىء إن لم أعرف ما هو !؟

هكذا هو يعرف أننى أعرف أنه يعرف أننى وجدت هذه الخطابات .. لكن لا يجرؤ أحدنا على الكلام ، ويكتفى بأن يوجه لى نظرة من طراز (صبرًا - أيها - النصاب - سأجد - لك - عقابًا - فى - شأن - آخر) ..

كنت الآن أقف جوار (المفاعل) المكتمل تمامًا .. مجهود يفوق الوصف بالنسبة لأننى قمت به فى يومين أو أقل ..

صحيح أنه كان أكثر بساطة وأكثر خرقًا مما قام به (كومارسكى) لكنه عمل فذ طبيعيًا .. النقطة هنا هى أن أكثر جهد (كومارسكى) كان منصبًا على إعداد سبل الحياة فى الجبل .. وأنا هنا فى مدينة .. كما أننى قمت بتجميع ما قام به .. عندما يقوم الكهربائى بتجميع كشاف من (النيون) فإنه ليس مطالبًا باكتشاف الكهرباء من جديد ، وإنما هو يبدأ من حيث انتهت أعوام من البحث العلمى ..

بدأت تجاربي بقط .. نعم .. قط من القطط التى تقف على حافة البركة لتشرب .. احتجت إلى عدة محاولات خرقاء حتى تمكنت من إلقاء صندوق ورقى عليه .. ونجحت فى لف الصندوق بملاءة ثم حملته إلى معملى العجيب .. حسن يارفاق .. لكم أن تراهنوا على أن العملية كانت شاقة .. فالوغد يتعامل كأنه نمر أو خنزير برى .. وقد مزق يدي تمامًا ، ولحسن الحظ أننى تلقيت تطعيم التيتانوس منذ وقت قريب .. فى النهاية تمكنت من تقييده .. بعدها قمت بتثبيت الأسلاك إلى جسده متصلة بكرة زجاجية .. هذه الكرة التى تخزن (الظاهرة) ..

لن أذكر تفاصيل موته .. فقط أقول إنه كان موتًا شنيعًا بطيئًا .. لا أعتقد أنك تعترض إلى هذا الحد على البحث العلمى .. أنا متوحش ؟ لا أظن .. كم من كلاب مزق (بافلوف Pavlov)

بطونها وهي حية ، وكم من أرائب ماتت وهي تسعل دماً مع (روبرت كوخ Koch) .. لو لم تمت هذه الحيوانات لما عرفنا شيئاً عن الانعكاس الشرطي وفسولوجيا الهضم ولا عن الدرن الرنوي ..

في النهاية قمت بختم طرف الكرة الزجاجية وأوصلتها بالأسلاك اللازمة ، ثم وضعتها في المفاعل .. الثلجة الأفقية إياها ..

ثم تخلّصت من الجثة ..

يجب هنا أن أرتب أفكارى .. لاقيمة على الإطلاق لتكرار ما قام به (كومارسكى) ، بل يجب أن أبدأ من حيث انتهى بالضبط .. هو استخلص (الظاهرة) واستعملها في توليد الكهرباء والإضاءة .. هو لم يجرب استخلاص (الظاهرة) من المصريين .. لم يجربها مع امرأة حامل .. لم يجربها مع طفل حديث الولادة .. لم يحاول أن يجرب إمكانات أخرى لهذه (الظاهرة) ..

أعرف أنى سأجرب حتى النهاية .. وحين أشعر بقرب وفاتى سأنقل خبراتى إلى طبيب شاب آخر .. هكذا تتحرك الوصية عبر الأجيال .. وهكذا .. وربما ...

من يدري ؟ لو كنت كاتب خيال علمى ، لتصورت مستقبلاً تمشى فيه السيارات وتحلق الطائرات بوساطة (الظاهرة) .. هذا يستلزم منظرًا آخر أغرب .. مساحات شاسعة مخصصة للتغذيب لانتزاع الطاقة من المحتضرين .. أتخيل سهلاً ممتدًا تمارس فيه أنواع التغذيب ، والبشر معلقون على أوتاد ينزفون ، والأسلاك تتدلى منهم نحو البلورات .. ما أجمله من منظر ! لوحة سريرية رائعة ، أو هو مشهد حلم به القادة الرومان وهم يصلبون (سبارتاكوس Spartacus) ورفاقه على طول الطريق من شط (برنديزى) إلى (روما) .. يا للخسارة .. لم يكن (كومارسكى) موجوداً وقتها ليحصد كل هذه الطاقة ! طبعاً سيكون هؤلاء المعذبون من المساجين أو الشعوب التى لم تعد ذات جدوى ..

إننى أتغير .. لكنى لست واثقاً إن كان هذا لأسوأ أم أفضل .. تلك مسألة نسبية ..

www.dvd4arab.com

Hany3H
www.dvd4arab.com

الجمعة ٣١ مايو :

بدأت الكرات تزداد .. لدى الآن خمس منها ..

عدت للبيت فى ساعة متأخرة لتخبرنى أمى أن عددًا من الأصدقاء مرَّ على فلم يجدنى .. هؤلاء الذين عرفتهم يوماً منذ عشر سنوات ثم قرروا أن الوقت مناسب لاستعادة الود ..

سألته فى سخرية جانبية :

- « وهل وجدنى أحدهم فى البيت ؟ »

أمى لا تفهم المزاح وهذا فى حد ذاته يعطى إمكانيات هائلة للمزاح .. لهذا هتفت فى رعب :

- « وكيف يقابلونك وأنت كنت بالخارج ؟ »

ثم انفجرت فى ضحك عصبى قصير وقد فهمت أننى أداعبها ، وبعد قليل جاءت زوجة أخى من المطبخ وقد لوثت بالسمن يديها حتى المعصمين ، ولا أعرف بالطبع نوع العشاء الذى يلوث المعصمين بالسمن ، وقالت فى لوم ضاحك :

- « مشغول جداً .. مشغول بشكل لا يوصف .. لا أعرف

إن كنت انتهيت من إدارة أملاكك أم لا .. »

وخلفها ظهرت (برنادت) وكان من الواضح أنها تحمل أسئلة مماثلة .. قالت لى بالفرنسية :

- « أنا معها طيلة اليوم .. لقد صرنا صديقتين حميمتين .. تعلمت هى من الفرنسية قدرًا ، وتعلمت أنا من العربية قدرًا .. هكذا يمكننا أن نتفاهم للأبد .. »

طبعًا أنا لا أحب زوجة أخى كثيرًا .. أجدها مشاكسة مولعة بالتحدى والصراع .. ولن يستغرق الأمر الكثير من الوقت حتى تبدأ الشجار مع (سلفتها) التى هى (برنادت) .. لكن العلاقات حتى هذه اللحظة سطحية .. أجمل ما فيها أنها سطحية كعلاقتك بالكواء على ناصية الشارع .. لا يمكن أن تزداد عمقًا أو تسوء ..

ما يهمنى فى الموضوع هو أننى صرت مريبًا .. الرجل الذى يبقى فى الخارج طيلة اليوم بعد عودته من الخارج ، لا بد أن يكون مريبًا .. والأسوأ هو أننى ألعب دور الدكتور (فرانكشتاين) الذى يملك مختبرًا غريبًا يمارس فيه تجارب مشبوهة ما .. لكننى أعرف حقيقة واحدة : أنا مرغم على ما أقوم به .. دعك من أننى لن أجد الفرصة أبدًا للقيام بهذا الذى أقوم به فى (الكاميرون) .. لا يوجد مكان خال أنفرد فيه ، وعيون الجميع على ..

السبت ١ يونيو :

اليوم حدث أغرب شيء في حياتي .. الأمر الذي يشعرني بما يحب رجل الشارع أن يقوله : الدنيا صغيرة .. نحن قطع من الشطرنج نعتقد أنها ذات إرادة كاملة ، لكنها تنتقل هنا وهناك غير عالمة أنها تنفذ خطة أكبر ..

مثلاً خذ عندك المشوار الطويل المرهق الذي مشيته عاجزاً عن العثور على سيارة أجرة .. ثم خذ عندك ركوبي مترو الأنفاق .. خذ عندك الفتاة التي دخلت قبل أن ينطلق الباب وهي تحمل حقيبة مكتنزة ، ونظارة سوداء على عينيها تعطيها الكثير من التظاهر .. إن إنساناً اختفى ثلث وجهه يتحول إلى كتلة من الغموض ..

كانت العربة كتلة من العجين البشري المختلط برائحة العرق ، والأنفاس التي أطفأت لفافة تبغها قبل النزول إلى المحطة .. وتذكرت باسمًا تشبيهه العبقري (محمد عفيفي) : ليس المكان علبه سردين .. بل هو قالب عجوة مكبوس .. لأنه لا يحقق التلاصق فقط بل التلاحم كذلك ! وإلا فلماذا أجد ذراع هذا الطالب تخرج من تحت إبطي ؟ ولماذا لا أجد ساقى اليسرى ؟

وسألني أخى بشكل عابر :

- « هل توجد مشاكل ما ؟ تكاد لا نراك .. »

قلت في غموض :

- « لدى بعض المشاكل .. بعض الجيوب تركتها ، وأريد أن أغلقها قبل أن أعود .. »

- « لكن لماذا لا تصحب عروسك معك ؟ »

قلت بلهجة من لا يريد أن يفتح معه الموضوع أكثر من هذا :

- « (برنادت) عاقلة جداً وتعرف متى تتركني وحدي .. لا تقلق بهذا الصدد .. »

يجب أن أحترس .. الأمر قد صار خطراً بالفعل ...



كانت واقفة في الركن وقد منحتها هيبة الأبوثة بعض الفراغ حولها .. بضعة ملليمترات لا أكثر ، لكنها على الأقل تجعلها مدركة تمامًا لهالتها الذاتية ..

هنا التقت عيناتا .. أعنى أن عيني التقنا بنظارتها .. كنت أعرف من البداية أنني أعرفها تمامًا ..

الآن أتأكد من هذا ، وقد غزت هذه البسمة وجهها .. وفي اللحظة التالية نطقت اسمي بشفتيها من دون صوت ، ونطقت اسمها بشفتي من دون صوت :

- « (علاء) ؟ »

- « (نسرين) ؟ »

لماذا لا تموت الذكريات القديمة ؟ المستشفى العتيق المتهالك .. طبيبة التخدير الحسنة التي تخاف كل شيء .. الفتاة التي وجدت نفسك في أن تحميها .. الزيارة مع الوالدة وأخي .. البونبون المشحم الذي يلتصق باليد ، والأب المتشكك الذي يملك يقينًا واحدًا : أنت لا مستقبل لك ..

(نسرين) .. الحب القديم .. والسبب رقم واحد في سلسلة أسباب أدت بك إلى الفرار .. إلى حيث تجسر النسور .. إلى حيث يصير (شلبي) رفيقك ، وقبائل (البانتو) مرضاك ، واللغة الفرنسية هي اللغة التي تتكلم بها في نومك ..

كانت مرتبكة ، وحين رفعت يدها اليمنى إلى شعرها لم أر أي قيد ذهبي .. ثم تماسكت باليد اليسرى في العارضة فلم أر أي قيد كذلك .. لم تتزوج ولم تخطب ..

شفتت ملحمة الأجساد والعرق حتى دنوت منها :

- « أية محطة ؟ »

- « (حلوان) .. »

وهذه صدفة أخرى غريبة ..

حين انفتح الباب ليتقيأ المترو حمولته ، كنا نمشي معًا كأننا ركبنا معًا .. لا أعرف لماذا ولا كيف ، لكن شيئًا ما قال لي إنها تبحث عني .. وسررتي هذا ..

أمام المحطة كان هناك حادث طريق ، وكان هناك زحام مروع .. الناس الملتفون ليسعدوا بخبر أنهم مازالوا أحياء .. رأيت الدماء على الأرض وسمعت الصراخ .. غطت وجهها بيدها حتى لا ترى وهمست : يا ساتر يا رب !

لكني كنت أرمق المشهد في نهم .. لو كانت الضحية حية وتتألم فمن الخسارة أن تموت سدى .. إن (الظاهرة) تنزف منها دون أن تكون عندي فرصة جمعها ..

بعد خطوات من المحطة كنت قد عرفت أن (نسرين) لم تتزوج قط .. غريب هذا لأنني أعتقد أنها في الثانية والثلاثين

من العمر .. يبدو أنني لم أكن الضحية الأخيرة لأبيها فهو
من الطراز الذي يتسلى بطرد الخطاب .. الأب الذي يعرف قيمة
ابنته أكثر من اللازم ، ويؤمن بأن زواجها صفقة خاسرة ..
أن يعلمها ويطعمها ويعطيها كل شيء ، فقط ليأخذها شاب
رقيق .. من ثم تتسى أباهما للأبد .. ويبدو أنه ظل ينتظر حتى
يتقدم (صلاح الدين الأيوبي) أو - على أقل تقدير - وزير
خارجية (بوليفيا) لابنته .. فلما لم يحدث هذا قرر أن الحكمة
المثلى هي (دع العسل في جواره .. إلى أن يعرف مقداره ..)
كانت هشة حزينة .. وقد بدا لي كأنما هي بحاجة إلى أي
ظل من الماضي يذكرها بأيام العز ..

سألتني كثيراً عن زوجتي ، وعن تجربة الزواج بأجنبية ..
كانت تتمنى أن تجدني تعسا ، ولسبب ما لم أخبرها بالحقيقة :
إنني بالفعل سعيد جداً .. لقد أعطيتها ردوداً رمادية توحى
بالغموض .. توحى بأنني قد أكون سعيداً كالأرانب ، وقد أكون
تعيساً كثور معصوب العينين يدير ساقية ماء ..

في النهاية أخرجت ورقة وكتبت عليها رقم هاتف بيتنا ،
وطلبت منها أن تطلبني في أي وقت .. ثم افترقنا ...

في العاشرة مساء دق جرس الهاتف .. كنت على مائدة
العشاء ، فناداني أخي - كان وزوجته عندنا اليوم - كي أرد ..
فما إن رفعت السماعة حتى وجدتها هي .. (نسرين) ..

شعرت بالحرج نوعاً خاصة وأن (برنادت) في الصالة ،
لكني كنت مهذباً ورحت أستمع بهدوء .. برزانة ..

الحقيقة أنها كانت تقول الكثير من الكلام الفارغ .. ثرثرة
جداً ، ولا أزعم هنا أنها كانت تريد استعائتي .. لا .. هي تريد
شيئاً لا تعرف ما هو ولا تستطيع شرحه لو طلب منها ذلك ..
أعرف هذه المشاعر .. فقط تبقى خطوط اتصال مفتوحة مع
الماضي .. وتريد أن تشعر بأنها مازالت ساحرة وأن الأثر الذي
تركته في نفسي يوماً ما لم يضعف بعد .. حسن .. من
ناحية الجمال لا أنكر أنها مازالت ساحرة .. فهي ليست في
السبعين من العمر .. لكني بالفعل أحب (برنادت) .. أحبها
كثيراً وأشعر بأن ما مر بي في حياتي من قبلها كان هراء ..
طالت المحادثة نحو ساعة .. وقرب نهايتها أعطتني رقم
هاتفها .. ودخلت (برنادت) لتري ما هنالك ، فرفعت كفي بمعنى
ألا تقاطعي الآن .. هزت رأسها وجلست على الأريكة تقلب بعض
المجلات النسائية .. هي لا تفهم العربية لكنها تعرف منها قدرًا
خطراً .. الخطر في الموضوع أنني لا أعرف مقدار ما تعرف بالضبط ..
انتهت المكالمة ، فسألتني :

- « صديق قديم ؟ »

- « شيء من هذا القبيل .. »

الاثنين ٣ يونيو :

صار يومي ذا نظام لا يتغير .. الخروج صباحاً إلى العمل .. أقصد ذلك المختبر المرتجل في (حلوان) .. والطريف هنا أنني صرت أدون ملاحظاتي بالبولندية .. ماذا يحدث لي ؟ المخيف في الأمر هو أنني لست خالفاً .. لا أرى في هذا غرابة ..

يجب أن أقول هنا إنني صرت متى فرغت من عملي أقابل (نسرين) .. إنها تعمل هنا .. هناك مستشفى خاص صغير اسمه (الروضة) صاحبه جراح يختصها بتخدير حالاته .. وبما أنها بحاجة إلى أن تنفق على نفسها فإنها تمضي أكثر وقتها في (حلوان) .. إنها لصدفة غريبة ..

كنا نجلس في أي مكان .. أو نمشي معاً نتكلم .. ويبطء بدأت الفتاة تشعر بأننا ننتمي معاً إلى (نادي الخاسرين) .. كلانا محبط بشكل ما ، وكلانا لم يجد السعادة بعد مرور هذه الأعوام .. عندها يلتقي الجنديان العائدان من الميدان بعد ما هزما في الحرب .. عندها يبعث حب الماضي ..

فكرة رومانسية عذبة .. وكانت تروق لي بشدة في الماضي .. المشكلة هنا أنها خطأ على طول الخط .. على الأقل بالنسبة لي ..

لكن - قل لي من فضلك - ما السبب الذي يجعلني أعب بالضبط الدور الذي تتمنى أن تراني فيه ؟

ما سر هذه الكلمات الغامضة التي أقولها وتوحى بأنها على حق ؟ كلانا خسر حربيه الخاصة ، وعلينا أن نجد بعضنا .. علينا أن نخوض حرباً واحدة معاً .. والأهم أنها تحسبني آتى إلى حلوان من أجلها فقط ..

وفي نهاية اللقاء أقول لها وأنا أنظر لعينيها في حزن :

- « الآن سأتركك .. يجب أن أعود لها .. »

وأضغط على كلمة (لها) بما قد يعنى (للعينة) أو (للحدأة) أو (لمصاصة الدماء) ..

فتشهق في لوعة ، وتغطي شفتيها ..

ثم أستقل المترو عائداً .. وهنا تخطر لي فكرة رهيبه ..

إنني أعرف لماذا أعب هذا الدور .. لست نذلاً ولا (فاتن نساء) لاسمح الله .. إنني أفكر في شيء آخر .. شيء

الأربعاء ٥ يونيو :

- « أين أنا ؟ »

نهضت من الفراش في رعب ونظرت حولي ..

حجرة فاخرة جدًا مريحة جدًا .. ثمة جهاز تلفزيون مفتوح على منضدة وهو يعرض فقرات من قناة أجنبية ما .. رائحة عطرة في الجو .. أنا ارتدى منامة حريرية لكن البرد يتخلل ثناياها .. البرد القادم من جهاز تكييف مركزي لا تعرف أين هو ، لكنه يعمل بكفاءة حقيقية ..

وتوترت أعصابي كأعصاب قط ، حتى لو أن الباب لتفتح لو ثبتت مترين في الهواء .. نهضت وتفقدت المكان .. أولاً واضح من القائمة الموضوعية على النضد ، ومن الشعاع الموجود في كل مكان أن هذا فندق فاخر .. فندق من الفنادق التي تسمع عنها من حين لآخر عند زفاف ابنة الوزير الفلاني على نجل رجل الأعمال العلابي .. ثانياً لي هنا حقيقة لم أرها قط ، بها حاجيات يبدو أنها تخصني .. ويبدو أنني ابتعت ثياباً جديدة قبل القدوم هنا .. ثالثاً : الساعة الآن العاشرة صباحاً .. ولم أكن أعرف اليوم وقتها ..

يتعلق بالكرات الزجاجية .. ولماذا هي بالذات ؟ ربما لأنني أجد في نفسي رغبة خفية في الانتقام .. المهاتمة التي شعرت بها وأنا أغادر دارها شبه مطرود .. وأمي تقول لي ما تقوله أية أم أخرى : غداً أزوجك من هي خير منها ألف مرة .. لكنني لم أكن أريد خيراً منها .. كنت أريدها هي ..

ستكون (نسرين) لي للأبد .. لكن في صورة بلورة زجاجية غامضة ملقاة في المفاعل .. إنني أقاوم حتى هذه اللحظة ، لكنني أعرف كيف سينتهي الأمر .. إن المعركة بين الحمل والأسد محسومة .. الحمل هو ما بقي مني ، والأسد هو ذلك الهاجس الذي يسيطر على كل خلية من خلاياي الآن ..

أكره أن أعترف لنفسى بهذا ، لكنه حقيقي وأعرف أنني سأفعله ..

فقط حين أجد الفرصة .. وحين يخمد ذلك الصوت الأخير الذي يهيب بي ألا أفعل ..

من الواضح تمامًا أنني لن أعرف أبدًا متى ولا كيف جئت هنا .. هذه حالة من فقدان الذاكرة المحدد Circumscribed amnesia حيث تذكر كل ما قبل وما بعد حادث معين ..

الآن هناك مشكلة صغيرة .. كيف أغادر هذا المكان؟ سروالي معلق على المشجب .. بحثت في حافظتي جيدًا فوجدت الـ .. حمدًا لله .. بطاقة الانتماء موجودة .. هذا يريحني .. يجب أن أفرّ من هنا فرارى من الأسد ثم أحاول فهم ما حدث .. فهم الصورة كاملة ..

بحثت في دليل الهاتف الخاص بالفندق ، حتى وجدت رقم الاستقبال .. استجمعت كل ما في صوتي من (الأظلة) متذكرًا ما يفعله أبطال الأفلام في مواقف مماثلة ، وطلبت من الموظف أن يعد لي الفاتورة لأنني مغادر الآن ..

ثم بدأت ارتدى ثيابي مبلبل الفكر .. لم أتصور قط أنني من هذا الطراز لكن يبدو أنها الحقيقة .. فقدان ذاكرة هستيري .. جربت هذا الشعور من قبل ، ولكن في ظروف جد مختلفة ..

وفي الاستقبال الفاخر ، حيث تجد زحامًا يشبه ما تجده في أي (مول) في وسط البلدة ، دفعت ببطاقة الانتماء

الحساب الباهظ لما عرفت أنه ثمن قضاء ليلتين في هذا المكان .. ووقفت أنتظر إجراءات الـ (تشيك أوت) كما يصير الموظف على أن يسميها ..

وحدى .. إذن أين (برنات) ؟ وما هي الظروف التي قادتني إلى هنا ؟ وما موقفهم في البيت الآن ؟؟

ترى هل هي مشاجرة ؟ كل زوج يمر بواحدة ويذهب إلى ذلك المكان المجهول (المنزل) الذي يبرهن فيه على أنه قادر على الاستغناء عن البيت .. لكن هل نشبت بيني و(برنات) مشاجرة ؟ ومتى ؟ ولماذا نسيت كل شيء عنها ؟

الحقيقة أنني كنت أرتجف .. لم أذق الخمر في حياتي ، لكنني أفهم شعور السكر الذي يطردونه من الحانة في الخامسة صباحًا ليجد نفسه في الشارع ، عاجزًا عن معرفة من هو وأين هو ولأين يذهب ..

وحين جاءت حقيقتي ، وحين وجدت نفسي في الميدان الواسع ، وحين دنت مني سيارة الأجرة تعرض خدماتها .. عندها فقط ثبت إلى رشدي .. على الأقل يمكن أن أعود إلى البيت ..

الآن سأريحك من التفاصيل ..

لنت تعرف كيف قوبلت لدى عونتى إلى الدار .. (برنادت)
فتحت الباب - يا لشحوبها المريع ! - ورأتى ثم هرعت إلى
الداخل .. أمى احتضنتنى فى جنون وهى تبكى .. أخى كان
أقرب إلى الغضب غير المتحفظ .. نادانى بـ (بنى آدم) ..
كعادته حين يحتقن ، وقال وهو يضغط على أسنانه :

- « كلمة واحدة من أجل الأغنام التى تنتظرك فى الدار ..
لكنك لا تطيق مجرد كلمة واحدة .. كان بوسعك أن ترفع
سماعة الهاتف من أى مكان .. »

ثم همس وهو يقرب فمه من أذنى :

- « لم نخبر الوالدة .. لكنى مررت على كل أصدقائك
والمستشفيات ولم أبلغ الشرطة كى لا أسبب لك حرجاً .. »
وأشار إلى الحقيقية :

- « أرى أنك أعددت كل شىء لقضاء فترة طويلة ..
فلماذا تنازلت وعدت ؟ »

مذهولاً أسمع هذا كله .. مفتوح الفم كأبله .. عاجزاً عن
إعطاء رد منطقى ، وقد زاد هذا الأمور سوءاً .. بدوت
بالضبط كأننى نادم .. إنها عودة الابن الضال .. الذى كان
(ضالاً فوجد) ..

فى النهاية جلست مع أخى فى غرفة الجلوس ..
وكنت أسمع (برنادت) تنهنه فى مكان ما من الدار .. أشعل
لغافة تبغ ، ثم وضع كوب الشاي أمامى ، وقال فى لهجة
العارفين ببواطن الأمور :

- « أين كنت ؟ »

قلت شارداً الذهن :

- « فى الفندق .. بعض التغيير .. »

استنشقت بعض الدخان ، وأبقاه فى صدره ليشعر بأنه
حكيم ، وقال :

- « هل ضايقتك ؟ تلك الفتاة .. كان هذا متوقعاً لأن
اجتماع ثقافتين مختلفتين أمر لا يدعو للاطمئنان .. لبيتك
أصغيت لكلامى حين نصحتك بأن تتزوج مصرية .. هى
القادرة على أن تفهمك وتعرف آلامك .. قل لى مانوع
المشادة التى نشبت بينكما ؟ هل أساءت لك كثيراً ؟ لبيتنى
أفهم الفرنسية وإلا لاستطاع لساتى السليط أن يلقتها
درساً .. يجب أن تعرف أنها تزوجت رجلاً شرقياً ، وأنه
لا يقبل أن تملى أوامرهما عليه .. ولكن .. صبراً .. لست
وحدك .. إن خالك قد يستطيع أن ... »

كدت أجنُّ من ثرثرته .. رأسى قاعة فارغة يتردد فيها
صوته على ما لانهاية .. فأمسكت برأسى وقلت فى صعوبة :

- « أتوسل إليك .. لم تكن هى المشكلة على الإطلاق .. »

- « إذن ما هى المشكلة ؟ هل ضايقتك أمى ؟ »

- « لا أعرف .. لم أتلق أية إساءة .. كل ما فى الأمر

أننى لست على ما يرام .. صدقتى .. »

ثم نهضت عالماً أننى بذلك أجازف بخسارته .. لكن

لا مفر لى .. لا أستطيع التظاهر بلطف المعشر بينما لغز

مبهم يحوم حول عالمى كله .. الظل المرعب العملاق فى

الأفق يلقى الظلام على كل تفاصيل حياتى ..

وكما توقعت كف عن الكلام .. بعد قليل سمعته يودع

أمى لأنه سينصرف ..

ودخلت غرفة النوم وبحثت عن أوراقى ..

رأيت (برنات) جالسة على الفراش كقطة تعسة ،

تتظاهر بأنها تقرأ مجلة طبية من مجلاتها ..

لم أنظر لها .. فقط قلت وأنا أفتح خزانة الثياب :

- « (برنات) .. أنا لا أعرف ما حدث وليس لدى أى

تفسير .. لكنى أريد منك أن تمنحني ثقتك .. أنا لن أؤذيك

أو أخدعك عامداً أبداً .. »

قالت فى برود :

- « لكنك تفعل ذلك عن دون قصد طيلة الوقت .. إننى

مدهشة من كم الأشياء التى تفعلها من دون قصد هذه

الأيام ، وأرجو أن تتأخر قليلاً اللحظة التى تسكب فيها

الكبروسين على ، وتشعل الثقاب من دون قصد .. »

ثم ابتسمت بمرارة وقالت :

- « سيعزىنى وقتها أنك تفعل هذا غير عامد .. »

أعطينى أكثر ! هلمى يا فتاة ! لو كان هذا كل ما لديك فأنا

راض سعيد .. بضع كلمات لا تخدش ولا تدمى .. كنت أتوقع

السوء ذاته ، لكنك بالفعل رقيقة كما عرفتك دوماً ..

قلت لها فى مرح وأنا أبدل قميصى :

- « قولى لى .. هل رأيت القاهرة القديمة ؟ ألا تتمنين أن

ترى الأزهر ؟ »

نظرت لى فى حيرة وقد انفرجت شفتاها عن صرخة

أوشهقة أو احتجاج ، وهمست :

- « (علاء) .. لقد بدأت تخيفنى !! »

الخميس ٦ يونيو :

لا أعرف السبب لكن (برنادت) راضية عنى اليوم .. يبدو أن جولة أمس كانت ساحرة .. لقد رأيت الأزهر للمرة الأولى ، وسمعت قصصى عن بوابات القاهرة .. الحقيقة أننى فيما يخص القاهرة القديمة يمكن بلا جهد كبير أن أكون مرشداً سياحياً .. برغم أن ذاكرتى أطارت يوماً كاملاً أو أكثر فإن معلوماتى العامة لم تضعف .. وفى المساء مشينا على الكورنيش وأخذتها لدار سينما ..

- « فى القاهرة لا يمكن لغاشقين أن يعتبروا نفسيهما كذلك ، ما لم يمشيا على النيل ليلاً ويلتهما الترمس ! »

أحبت الترمس منذ قدومها إلى مصر ، وإن كاد يقضى عليها بالإسهال فى البداية .. لكننى أثق بأن المعدة التى تحملت (الكاسافا) وطعام (سافارى) الردىء سوف تصمد أمام الترمس ..

لست طفلاً .. هى قررت أن تسالرنى على أمل أن أتكلم .. ظلت تصغى وتبتسم وتبتسم وتصغى .. لكنى ظللت غامضاً ..

كلانا يخدع الآخر .. أنا أتظاهر بالمرح بقلب كسير حائر ، وهى تتظاهر بالمرح بفضول أنثوى يحرقها ..

وحين عدنا كنا قد اكتشفنا بعضنا من جديد ..

اليوم أجد أننى راغب حقاً فى الذهاب إلى المفاعل لأرى ماتم عمله ..

وهكذا تناولت إفطاري ثم أخبرتها بأننى ذاهب لرؤية ذلك العمل المعلق فى (حلوان) .. طلبت أن تذهب معى فاعتذرت لها بأنه (عمل رجال) أو Guy thing .. ثم قررت أن الهجوم خير وسيلة للدفاع فسألتها :

- « متى ستقولينها لى ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « أنت تغيرت كثيراً يا (علاء) .. ماذا دهاك ؟ »

ابتسمت وضغطت على شفتها السفلى فى تحد ، وقالت :

- « لالآن أقولها ! »

تنفست الصعداء ، ونهضت .. هنا أردفت وأنا على

الباب :

مرات ، وأكاد أقسم أنك كنت موجودًا .. لقد كانت النوافذ مفتوحة .. لكنك لم ترد على .. »

- « أنت مخطئ .. هذه أول مرة أدخل فيها هذا المكان من يومين .. »

- « إذن أنت لم تغلق النوافذ .. وأين كنت إذن ؟ »

قلت كأنما أغشى :

- « في الدار حتى خلت من نارنا الدار .. »

قال دون أي تعبير على وجهه :

- « ما كنت يا عماء معهم .. »

وراح يجوب الشقة ويتفقد الأجهزة والثلاجة الأفقية .. ينظر إلى الأسلاك والتوصيلات ومثبت التيار .. أنا أكره هذا .. أكرهه ..

قال في النهاية :

- « لا يوجد جهاز كمبيوتر واحد .. ماذا تفعله هنا بالضبط ؟ »

قلت في ضيق :

- « (أشرف) .. أنت لا تفقه شيئاً عن الكمبيوتر .. فلماذا قررت أن تكون (بيل جيتس) فجأة ؟ »

- « أنا لا أفهم في تخليل الزيتون كذلك .. لكني أعرف على الأقل أنه لا بد من براميل وزيتون كحد أدنى كي تصف المكان بأنه (معمل تخليل زيتون) .. »

قلت في نفاذ صبر :

- « ليكون .. أنا لم أشتري شيئاً بعد .. فقط أعد المكان .. »

- « منذ أسبوع ونيف تعد المكان .. هذا غريب .. لاحظ أن وقتك هنا ليس مفتوحاً إلى هذا الحد .. »

- « أعرف هذا .. شكراً .. »

غمغم في غموض :

- « لا أعرف ما يحدث لك لكني لا أحبه كثيراً .. بمناسبة الزيتون والكمبيوتر والحب .. كيف حال الحمام هنا ؟ »

- « يرسل لك تحياته .. يمكنك أن تستعمله وإن كنت لا أنصح بهذا .. لم ينظف بعد .. »

- « المحتاج يركب الصعب .. »

وانطلق إلى حيث الحمام .. بينما جلست أنا أفكر .. يجب التخلص منه بأي شكل .. لماذا أخشى الصدام إلى هذه

الدرجة؟ ما قيمة فقد صديق آخر؟ أعرف السبب .. أنا لا أريد شكوكاً جديدة من حولي .. لا بد من كسب ثقته ..

بعد قليل عاد من الحمام وكان يحمل شيئاً في يده .. وإن استخدمه لتجفيف يده :

- « بالمناسبة يا (علاء) .. ما هذا؟ »

كان هذا جلباباً أزرق اللون نظيفاً وبحالة جيدة .. من النوع الذي يلبسه أولاد البلد الموسرون .. أنا أعرف جيداً أنه لم يكن في الحمام من قبل .. لم يكن في الحمام شيء .. ومن العسير أن أزعم أنه يخصني ، فهو ليس من الجلابيب البيض التي يلبسها أبناء المدينة من حين لآخر طلباً للتخفف ..

لهذا قلت :

- « وكيف لي أن أعرف؟ كان في الشقة من البداية .. »

نظر له في شك وقال :

- « نظيف جداً .. لا توجد علامات إهمال عليه .. لا أتربة ..

لو كان منسياً لتحول إلى خرقة رثة .. »

أنا أيضاً كنت مندهشاً وخطرت لي الفكرة ذاتها .. لهذا

قلت صادقاً :

- « لا أعرف .. لست مطالباً بتقديم شهادة منشأ عن كل

شيء أجده هنا .. هذه شقة مفروشة لو كنت لاحظت هذا .. »

وتذكرت التعبير الأمريكي العامي (هل اشترى هذا؟

Did he buy that?) بمعنى (هل صدق هذه الكذبة؟) ..

الحقيقة أنني بائع خائب ، ولم أنجح قط في بيع أية كذبة

للرجل ..

جلس (أشرف) بعض الوقت ، ثم وجدني بارداً كالثلج ،

فأعلن في حرج أنه سيذهب كي أتفرغ لعملي ، ودخل إلى

الحمام من جديد ليغلب بعض الماء في زجاجة من أجل

السيارة ..

ولكني كنت أعرف أنه سيعود ..

ما إن انصرف حتى أمسكت بالجلباب أتفحصه .. للحظة

تمنيت أن يكون هذا لصاً تسلل إلى الشقة ، وخلع جلبابه

ليجيد عمله ثم تركه ورحل .. هذا بالطبع هراء لأن

اللصوص لا يلبسون جلباباً فاخراً كهذا .. ولا يتركونه حين

يرحلون ..

الآن لدى علامات استفهام أكثر من أن يتسع لها

رأسي ..

بإصبع ترتجف تناولت جهاز الهاتف .. وضغطت على
أرقام بيتها ..

الجرس يدق .. أسمع صوته يتردد في جنبات البيت
الكنيب ..

لا أحد .. لا أحد ..

أعيد الطلب من جديد .. آخذ نفساً عميقاً وأكرر
المحاولة ..

أكرر .. أكرر ..

وفي النهاية أدرك أن يدي ملوثة بالعرق حتى إن
السماعة تنزلق من بين أناملي كثعبان الماء ..

هل أنا مندهش حقاً ؟

اتجهت إلى المفاعل وفتحته .. ورحت أتأمل البخار
الأزرق البارد المتصاعد من الداخل ..

بعد قليل بدأ ينقشع .. واستطعت أن أرى الكرات الزجاجية
المختومة المتصلة بأسلاك .. كنت قد تركت خمس بلورات
يوم الجمعة .. من أين جاءت هذه الكرات الثلاث ؟

انتصب الشعر في مؤخرة عنقي ، وأنا أمسك بإحدى
الكرات .. كانت شفافة وإن كان يسبح فيها دخان غريب
كان هناك من نفت فيها دخان لظافة تبغ قبل أن يختمها ..
ورأيت ملصقاً صغيراً قمت بتثبيته في وقت ما على الكرة
(وهو ما لم أفعله من قبل) يحمل الحرف H .. ما معنى هذا ؟

الكرة الأخرى تحمل الحرف N .. الكرة الثالثة تحمل
الحرف Y ..

وشعرت بجفاف في حلقى ..

ما هي احتمالات أن أكون مخطئاً ؟

ما احتمالات ألا يكون الحرف N يرمز إلى (نسرين) ؟

رباه .. ماذا فعلت في ذلك اليوم الذي غبت فيه عن وعيي ؟

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

الجمعة ٧ يونيو :

لابد أنني طلبت ذات الرقم مائة مرة .. صارت أصابعي تطلبه
لا شعورياً حتى وأنا جالس إلى مقعدة الطعام أو في المترو ..
كنت أعرف أن الأمر عجيب لأن الفتاة لا تعيش وحدها ..
أبوها وأمها حيان يرزقان ، ولها أخت أصغر سنًا .. إلا أن
المرّة المائة بعد الواحد نجحت .. ذكرني هذا بالدكتور
(إرليخ Erlich) الذي جرب ٦٠٥ مركبات على بكتريا
الزهري ، إلى أن نجح العقار التالي فجأة .. وهكذا كان أول
دواء للزهري في التاريخ هو العقار ٦٠٦ ..

هكذا في المحاولة رقم ١٠١ ارتفعت سماعة الهاتف ،
وسمعت صوت أب من الطراز الذي يعرف قيمة ابنته أكثر
من اللازم .. كان الصوت هو ذات الصوت الذي حطم
أحلامي منذ أعوام وإن كان منهكاً متعباً ..

- « مساء الخير .. هل الآنسة (نسرين) هنا ؟ »

كنت محرّجاً بالطبع .. وتوقعت ردّاً فظاً .. لكنه لشدة
دهشتي قال باهتمام حقيقي :

- « من المتكلم ؟ »

- « هي تعرفني .. إنني .. »

- « من المتكلم ؟ »

لاحظت - في كثير من ذعر - أنه يتصرف كمن يمسك
بخيط لا يريد تركه .. ولحسن الحظ كنت أتكلم من هاتف
عمومي ، لذا وضعت السماعة على الفور .. الأمر لا يتعلق
بغيرة أب على ابنته ، أو رغبته في معرفة من الوغد الذي
يتصل بها .. الأمر يتعلق بحاجته إلى خيط يرشده إليها
أو إلى ما تبقى منها !!

ووقفت في الشارع أفكر في عمق ..

الأمر لا يحتاج لتساؤلات أكثر .. لقد تم .. البلورة التي
تحمل حرف N تشير إليها بلا جدل .. لكن كيف تم ؟

مشاعر متناقضة عصفت بي وأنا أمشي مترنحاً في ردهات
المترو .. خوفاً من أن أكون فعلتها .. رضا عن كوني
فعلتها .. الأمل في أن أكون فعلتها .. عدم الفهم لكيف
فعلتها .. متى وأين فعلتها ؟

طبعاً ابتعت الصحف كلها لأعرف ما حدث .. لابد من خبر
ما يشير إلى تحقيقات الشرطة بصدد اختفاء فتاة في الثانية
والثلاثين .. كتب (على الشلقاني) محررنا .. إلخ .. إلخ ...

لكن لا يوجد شيء من هذا ..

وماذا عن حرفي H و Y ؟ الرجل ذو الجلباب لا يمكن أن يكون اسمه (ياسر) فهل هو (يحيى) أو (ياسين) ؟ وماذا عن (حمدي) أو (حملي) ؟

ماذا حدث يوم الثلاثاء الرابع من يونيو ؟

ماذا حدث ليلة الثالث من يونيو ؟

هناك خيط واحد يمكن أن أبدأ به ..

وفي الساعة مساء اجتزت مدخل الفندق إلى حيث (اللوبي) .. وسط الصخب والزحام ومجموعة من السياح يقفون أمام موظفي الاستقبال ، فشقت طريقى ، وأنا أقدر أن ما سأقوله سيكون سخيلاً جداً ..

بعد محادثة طويلة بالإنجليزية مع عجوز بريطانية شمطاء ، التفت لى الموظف رافعاً حاجبيه فى تساؤل ، مع مسحة من قلة الذوق التى يفرق بها أغلب موظفى السياحة بين معاملتهم للسياح ومعاملتهم لأبناء بلدهم .. لابد من مسحة التعالى هذه .. قلت له فى جفاء مماثل :

- « أريد معرفة متى جاء إلى الفندق من يدعى (علاء عبد العظيم) .. أعتقد أنه جاء يوم الإثنين مساء ، أو يوم الثلاثاء لكنى أريد معرفة الساعة .. »
نظر لى ملياً ، ثم غمغم فى اشمزاز :

- « لكن .. إننى أتذكرك .. لحظة واحدة .. »

وفتح دفترًا ليراجع الأسماء ، وضرب على عدة مفاتيح من الكمبيوتر ، حتى توقعت أن يأخذ عينة من جلدى لإجراء تحليل (تفاعل سلسلة البوليميريز PCR) .. ثم قال بنفس السماجة :

- « الإثنين .. بعد منتصف الليل .. بمعنى آخر فى الساعات الأولى من صباح الثلاثاء .. كان هذا فى الـ Shift الخاص بى .. أنت (علاء عبد العظيم) نفسه .. هل هناك دعاية ما ؟ »

طبعاً لا أتوقع منه أن يقول (وردية) بدلاً من Shift لكنى تناسيت ذلك فى محاولة البحث عن تفسير لهذا السلوك الغريب منى .. نظرت حولى وابتلعت ريقى وقلت :

- « حسن .. لنقل إنها - بصراحة - هى حالة مرضية تجعلنى أتصرف دون أن أعرف ماذا فعلت ولا مع من كنت .. »

- « هذا يبدو غريباً يا سيدى .. »

- « فقط ثق بى .. يبدو الأمر كمزحة أو خدعة ما .. حسن .. أؤكد لك أن هذا غير صحيح .. فقط أرجو أن تجيب .. هل كنت وحدى ؟ »

فكر قليلاً ثم قال :

- « طبعاً يصعب أن أكون دقيقاً .. على الأقل أنا متأكد من أنك كنت ثملاً وكانت معك امرأة تضع نظارة سوداء .. ربما كان معك رجل لكنى لا أستطيع أن أوكد .. والغرفة كانت Single على كل حال .. »

امرأة بنظارة سوداء ! ثمل ؟ أنا ؟ يا للكارثة !

- « وهل صعدت المرأة معى إلى غرفتى ؟ »

مط شفته على طريقة (لا - أستطيع - أن - أساعدك - أكثر) ..

وقال :

- « من المستحيل أن أتذكر كل هذا ، خاصة أن الـ Season

فى ذروته .. »

ونسيت أن أشكره .. رحلت شارد الذهن كاسف البال ..

لكنى لم أستكمل خيوط القصة بعد .. ترى هل هناك طرف

آخر ألجأ إليه ؟

السبت ٨ يونيو :

صرت أكره العودة للبيت .. لأنى أعرف أن مغادرتي ستكون صعبة .. إن الخروج من الحمام ليس كالدخول فيه ، ولا بد من أسئلة واحتجاجات .. لا ألوم أسرتي كثيراً ، لكنى يجب أن أجد جواباً لمعضلتى .. وهم يعقدون الأمور .. النتيجة هى أنني صرت أمضى أكثر اليوم فى الخارج فلا أعود إلا لأنام .. هذا يقلل المواجهات ..

كانت (برنادت) شاحبة بشدة لكنى لم أوجه لها أسئلة حتى لا أفتح أبواب (جهنم) ..

الحقيقة أن التفكير فى تجاربي و(الظاهرة) بدأ يخفت قليلاً .. لا أعرف السبب لكنى بالفعل أشعر بهلع عارم من أن أكون فعلتها حقاً .. برغم أن الفكرة منذ أيام لم تكن بهذا السوء .. ثمّة فكرة واحدة تلج على ليلٍ نهار ، وهى أن أبرهن لِنَفْسِي على أنني لم أفعل ذلك .. أما لو تأكدت ..

لو تأكدت مما أخشاه فلن أتردد .. كنت معروفاً فى الصف الدراسى بأتنى الوحيد الذى يسلم نفسه للمعلم معترفاً بأنه هو

من قذف قطعة الطيشور على جاره .. وكنت أتلقى ضربات
العصا شاعراً برضاً عن النفس - ممزوجاً بفخر لا شك فيه -
يزيل الألم .. أنا الوحيد الذي جرؤ على الاعتراف .. وعلى
كل حال لا قيمة لحياة قد تمتد خمسين عاماً آخر ، وأنا
أواجه نفسي كل يوم بالحقيقة المريرة : أنت قاتل سادى
مريض ..

ليتني ما فتحت مفاعلك يا (كومارسكى) .. ليتني لم أتلق
وصيتك الدامية .. ليتني لم أتسلق الجبل أصلاً .. والمؤلم
هنا أن في الموقف مسحة (ماتوية) لا تخفى على أحد ..
الشر قوى جداً ويختار ضحاياه جزافاً وليس لأنهم
يستحقون ذلك .. أنا بالتأكيد لم أستحق هذه اللعنة حين
قبلت مهمة تسلق الجبل .. لا أحمل في كياتي من الشر
الخفى ما يبرر أن أحمل كل هذا العبء ، وأن أتصرف
بقذارة ضد كل قناعاتي .. أوذى نفسي والآخرين ..

والآن هي ورطة لا أعرف منها فكاكاً ..

ماذا حدث يوم الثلاثاء الرابع من يونيو ؟

ماذا حدث ليلة الثالث من يونيو ؟

رفعت الممرضة السمراء رأسها عن الدفتر الذي تمسك
به ، فعرفت أن اسمها بالتأكيد (محاسن) .. وبالتأكيد
تساجرت مع زوجها اليوم ، وتمقت كل صنف الرجال .. لم
أر قدميها لكنى أراهما بعين الخيال كحزمتي فجعل في
شبه رث ..

كانت قاعة الاستقبال خالية ما عدا رجلاً يروح ويجيء حاملاً
كيساً من البول ، يتدلى بقسطرة من تحت جلبابه الأبيض الذي
يرفع طرفه بيده الأخرى .. هذا بالتأكيد عم (بسيونى) وقد مر
منذ يومين بجراحة ناجحة لاستئصال حصوة ..

سألت الممرضة :

- « هل هو بالداخل ؟ »

كانت لافتة (الروضة) - اسم المستشفى الخاص - تعلق
رأسها ، وجوارها بعض الآيات القرآنية ، ثم عدة شهادات
موضوعة في أطر ، وقصيدة كتبها مريض في مدح الطبيب
تبدأ بالمقطع العبقري :

(أسرع نحوك بالجراح الدامية .. فشفيتها بالعلم والأخلاق) ..

طبعاً لو سألته عن الألف الزائدة على (الأخلاق) لقال لك

إنها الضرورة الشعرية ، وإتك - عدم المواخذه - لا تفهم
هذه الأمور .. أشعر كأن هناك شاعراً واحداً حماراً يكتب كل
القصائد التي تراها في عيادات الأطباء ..

قالت (محاسن) في كراهية ودون أن ترفع عينها نحوى :

- « بالداخل .. »

- « إننى قولى له إن من يدعى الدكتور (علاء عبد العظيم)

يريد مقابلته .. »

كان الطبيب ملئ الجسد يبدو عليه الرضا عن الحياة
والبشر .. وإن كان قد تغير نوعاً حين سألته عن الدكتور
(نسرین) التي تقوم بتخدير حالاته ..

قال فى ضيق :

- « للمرة الرابعة أقول إننى لا أعرف عنها شيئاً منذ

يوم الإثنين .. أنهت عملها وخرجت فى العاشرة مساءً ..

هذا يحدث دوماً فى يوم العمليات الكبرى .. قلت هذا

للشرطة وقلته لأبيها .. والآن أقوله لك ، وإن كنت لا أعرف

من أنت حقاً .. »

- « ولم تعد قط ؟ »

- « لم تعد قط .. والآن من أنت ؟ »

- « أنا زميل .. »

وخرجت من الحجرة قبل أن يوجه لى المزيد من الأسئلة ..

فى الخارج كدت أصطدم بعم (بسيونى) الذى يجوب

المكان كالأشباح .. ثم اتجهت إلى (محاسن) التى جلست

تقرأ كتيباً عن (كيف تسعدين زوجك ؟) .. طبعاً تمنيت من

أعماقى أن أصارحها بأن الطريقة المثلى لإسعاد زوجها هى

أن تموت أو تسمح له بأن يطلقها ، لكنى توقعت ألا ترحب

بهذا الرأى ..

سألته فى كياسة :

- « دكتورة (نسرین) .. ألم تعد تأتى هنا ؟ »

نظرت لى ثم قالت فى ضيق :

- « نعم .. لم تعد تأتى . ثم لماذا تسأل ؟ من أنت ؟ »

- « أنا د . (علاء عبـ ... »

- « وأنا غير مخولة بالكلام معك ، والآن أرجو أن تغرب

عن هنا .. أرنى عرض كتفيك !! »

وانفتح فمها عن آخره ، وتعالى صوتها في سوقية
وفظاظة فهرعت أغادر المكان ، ولو كنت في حالتى النفسية
العوانية المعتادة لاستمتعت بهذه المشاجرة .. لكنى الآن هش
كطفل ، فلو صفعى أحدهم لما وجدت القوة على الاحتجاج ..

الآن أنا أعرف الحقائق جيداً : (نسرين) اختفت فعلاً ..
أهلها يحترقون لهفة عليها .. الشرطة تحقق .. ليس الأمر
وهماً .. فقط هناك واحد فى الكون يعرف أين هى .. ولكن
أهلها لن يسروا كثيراً لو حصلوا على البلورة التى تحوى
(الظاهرة) المنتزعة منها .. تحت التعذيب !

أى نوع من التعذيب ؟ أين ؟ كيف ؟

ماذا حدث يوم الثلاثاء الرابع من يونيو ؟

ماذا حدث ليلة الثالث من يونيو ؟

كنت جالساً فى المختبر أمام المفاعل . أمامى تلك البلورة التى
أصقت عليها حرف N .. كل هذا يتلخص فى هذه البلورة ؟
لو كنت تحسنين الكلام لقلت لى ماذا فعلت بك ؟ هل حقاً
قتلتك ؟ هل آذيتك ؟

« وهكذا صار يوسعى أن أستكمل تجاربى على تلك الطاقة
الغامضة التى أطلقت عليها (الظاهرة) ..

يجب أن أتجنب ذكر بعض الحقائق .. لقد اضطررت للأسف
لارتكاب فظائع كثيرة .. لم أكن قط قاسياً لكنك تفهم أننى
أحرقت كل سفى ، ولم يعد أمامى إلا أن أستمر فى تجاربى ..
يجب أن أنجح وأكون عديم الرحمة .. إن لى رجلين من قبائل
(الكاشا) على استعداد لعمل أى شىء مقابل المال ، وقد سهلا لى
بمعونة (جولد سميث) الجزء العنيف من الموضوع ..
الاستدراج .. التعذيب .. ثم الحصول على تلك الطاقة المهمة ..

هذا هو ما قاله (كومارسكى) فى رسالته لى ، فهل
انضمت أنت إلى موكب الرعب ؟ هل تحولت إلى مشهد
مخيف من المشاهد التى كنت أراها ونحن نتسلق الجبل ؟
لو فرضنا هذا فأين الجثة ؟

هنا خطر لى خاطر مرعب ..

أعدت كل شىء لمكانه ، ثم أخذت كشافاً كهربياً صغيراً ،
ونزلت فى الدرج .. إلى الطابق السفلى حيث بنر السلم ..
لا أملك سيارة ، لهذا لا أعتقد أبداً أننى نقلت الجثة بسيارة ..
لا يمكن أن أدفنها فى الشارع القفر ، ولا أن أتخلص منها

في الضاحية كلها . لن أتركها في الشقة ولن أقيها على
السطح .. إذن

هنا سمعت من يصيح في الشارع ..

أجفلت واتجهت إلى البوابة أفتحها ..

كان فتى في الخامسة عشرة من عمره ، يلبس قميصاً
وسروالاً أبيضين متسخين .. ومعه دراجة . وقد أدركت أنه
حرفي .. قال لي في كياسة :

- « لقد نسي الأسطى (عبد الوهاب) مفك الاختبار عندكم
يوم الثلاثاء .. »

نظرت له في غيباء ، ثم سألت السؤال العبقري :

- « ولماذا كان الأسطى (عبد الوهاب) هنا يوم الثلاثاء ؟ »

- « أنتم طلبتموه .. كان هناك ماس كهربائي في الشقة .. »

- « وأين ورشتكم هذه ؟ »

أشار في اشمزاز إلى الشارع الخلفي :

- « هناك .. جوار المخرطة .. »

كأنا من البديهي ألا تسأل عن مكان الشمس .. كل يعرف
مكانها أيها الأحمق ، فعدت أسأله :

- « أنا طلبته ؟ »

- « لا أعرف .. وقد جاء وأصلح كل شيء .. ونسى
المفك .. جئت مرتين فلم يكن أحد هنا »

قلت له في ضيق وأنا أصعد في الدرج :

- « تعال ابحث عما تريد .. »

بعد تفتيش طال في الشقة وجد المفك .. وجدناه فوق لوحة
توزيع الكهرباء .. وكان هناك سواد يوحى بماس كهربائي فعلاً ..
عاد الفتى بقيمته إلى معلمه ، وعدت أنا إلى هواجسي السوداء ..

إن كنت أنا في الشقة يوم الثلاثاء .. وكنت أجرى تجاربي ..
هذا بالتأكيد سبب ما حدث للتير الكهربائي .. هل قضت (نسرين)
ليلة الإثنين هنا ؟ مستحيل .. على الأرجح هي لقيت نهايتها
يوم الإثنين ، وانهمكت أنا في (العمل) يوم الثلاثاء كله ..

من يملك الإجابة عن هذه الأسئلة ؟

هنا تذكرت ما كنت بصدده ..

أغلقت الباب ، ووقفت هنيهة في بئر السلم المظلم حتى
اعتادت عيناى الظلام .. لو أنني قُلت فيلاً وأرُبت دفنه فلا يوجد

مكان أفضل من هذا .. بالفعل هناك جوال به بعض بقايا الأسمنت
وهناك قصعة ومطرقة من النوع الذى يقال له (أجنة) ..

الجدار تحت السلم كله مكسو بالملاط .. فلم يعن أحد بدهان
ما نتج عن عمل مبيض المحارة .. عيناي قادرتان الآن على
تمييز اختلاف لون الأسمنت بين الجدار وبين بقعة فى مركزه
بالضبط .. طبعاً قد جف الأسمنت الآن لكن كثافة العجينة وبراعة
من يؤدى المهمة تباينت .. كان الجدار مقعراً .. فلا بد أننى
حفرته أكثر كي يزداد تقعراً ، ثم وضعت ما أريد فيه
وغطيته بطبقة من الأسمنت .. وهذا يفسر اتبعاج الجدار
الآن فى هذا الموضع بالذات ..

هكذا بدأت أدق .. أدق مهشماً طبقة رقيقة من الأسمنت
المنبجع ..

إنه هس بالفعل .. لو أخذت رأيى لقلت إن هذا ليس عمل
محترف على الإطلاق ..

بدأت ثغرة بحجم كفى تتسع .. قربت رأسى أكثر ..
أضأت الكشاف وأنا ألهث ..

الشعاع يسقط على الفجوة المصنوعة بالداخل ..

يا للظلال ! بصعوبة أفهم ما أنظر إليه .. هذا رأس ..
رأس امرأة يغطيه الشعر .. لحسن حظى أنه مغطى بالشعر

وأنها لا تنتظر نحوى .. أعرف هذا الرأس .. أنكره ..
عشقتة .. حلمت به كثيراً جداً ..

أطلقت شهقة ثم ارتميت على الأرض ..

هل فقدت الوعى ؟ أرجو أن يكون هذا حدث وإلا فأتنا
صنم بلا مشاعر ..

قضى الأمر ..

انتهت الأسئلة وانتهت الحيرة ولم يبق إلا يقين مربع ..

(علاء عبد العظيم) الطبيب الشاب المرموق وأب المستقبل ،
قد تحول إلى غول ينقب عن العذاب البشرى والموت والدماء ..
لقد كان أبوها بعيد النظر حقاً حين توقع أنه لا مستقبل لى
على الإطلاق .. وأنت يا (برنادت) .. ترى كيف تفهمين
الأمر ؟؟ مهما كانت درجة تفهمك وتسامحك فأتنا بحاجة إلى
زوجة خليط من (غاندى) و (شكسبير) و (فريد) وخالتي
وأمى كي تجد مبرراً لهذا الذى قمت به ..

فقط أدعو الله أن يحضروا لى محامياً أحقق مجهل كل
شئ عن أصول مهنته ، وبهذا ألقى عقابى الحق ..

صفحات من مذكرات د . (برنات جونز) :

السبت ١ يونيو :

مفكرتى العزيزة ..

لا أعرف .. لم أتصور نفسي يوماً من طراز الفتيات اللاتي يعقسن شعرهن بشريط حريري ، ويرقدن على الفراش مطوحات بأقدامهن مفكرات في السطر التالي الذي يكتبه لمفكرتهن العزيزة .. لكن الأمر وقع على كل حال !

الحقيقة أنني أرغب في مكان ما وشخص ما أفضى له بكل الأسرار المعتمة داخلي .. الحقيقة هي أن (علاء) يتغير . لا أستطيع فهمه ، وأشعر أحياناً بأنه شخص عجيب .. هذه أشياء لا توصف ولا يمكن وضعها في كلمات ، لكنها تلك النظرة الغريبة المتباعدة التي عاد بها من (كليمنجارو) .. ثمة مساحة معينة من القسوة في عينيه .. هذه النظرة تزداد الآن وهو لا يعأ بي ولا بأحد من أهله .. إنه عبد لفكرة ما تسيطر عليه ..

حقاً لا أستطيع فهمه . ماذا يبقيه خارج البيت طيلة اليوم والمفترض أن أيا منا هنا معدودة ؟ صرت لا أراه إلا في المساء ، وهو دائماً منك غامض لا يريد إلا النوم ..

واحدة أخرى ؟ ليت هذه هي الحقيقة .. فهذا على الأقل سبب يمكن علاجه أو مناقشته .. شيء أَرْضَى تماماً .. أما ما أشعر به من نظرات (علاء) فهو شيء لا يمت لعالمنا بصلة .. وأعترف بأنني شعرت بشيء كهذا حين كان في (كليمنجارو) ..

لو كنت فعلاً أملك تلك القوة النفسية (القياس النفسي Psychometry) التي حسبت أنني أملكها لعرفت ما يجري هنا ، لكنني بالفعل كفتت عن الاعتقاد في امتلاكى لها .. ولو كنت أملكها فإن الحمل قد قضى عليها ..

والحمل ! إنني لست على ما يرام ..

كل بقع الدم هذه مع آلام أسفل الظهر .. يبدو أنني بصدد (إجهاض منذر) .. لكنني لن أزعجهم هنا ، والأمر عسير على كل حال ما دام (علاء) ليس موجوداً معي .. سيفهم أهله أنني أريد كوباً من الماء ، لا طبيب أمراض نسائية . سأحاول أن أقلل من تحركاتي قدر الإمكان .. وهذا عسير مع كل هؤلاء الضيوف في البيت ..

هذا المساء عاد (علاء) إلى الدار وكان أخوه وزوجته عندنا .. جاءت مكالمة مبهمّة فنهض ليتكلم .. طالت المكالمة جداً ، وأعتقد أنه كان مرتبكاً بحق .. لو كانت هذه امرأة فلسوف أكون سعيدة راضية .. على الأقل هناك تفسير مريح لكل الذي يحدث ..

الأحد ٢ يونيو :

الدم مستمر .. هل يتحول (الإجهاض المنذر) إلى (إجهاض إجبارى) ؟

الأمر يحتاج إلى رأى ثان ، لكن (علاء) - ذلك الشيطان التمس - ليس موجوداً فى حياتى .. بالواقع لم يعد له وجود فى حياة أى شخص يعرفه .. أمه تتساعل عن السبب ، لكن إصبع الاتهام يشير لى كما هو واضح من لغة النظرات العالمية ..

لماذا يترك الرجل بيته لإليفر من زوجته ؟

هناك صديقه المدعو (أبو سيف) .. (مختار أبو سيف) .. معى رقم هاتفه .. إنه الشخص الوحيد الذى أعرفه هنا ويجيد الفرنسية والعربية معاً ، لكن من الغريب نوعاً أن يكون موضوع لقائنا اللتى هو حاجتى إلى من يصحبنى لطبيب أمراض نسائية . دعك من أن هذا سيسبب الكثير من الحرج لـ (علاء) ..

كلا .. من الخير أن أصمت وأبتلع ما يحدث ..

سأكون بخير ..

أعرف هذا .. سأقاتل كى يصير حقيقة ..

الاثنين ٣ يونيو :

للأسف لا تكفى قوة الإرادة وحدها لوقف النزف .. يحتاج هذا إلى أحد معلمى اليوجا .. لكن الأمر يزداد سوءاً ..

وفى السادسة مساء دخلت الحمام ومكثت فيه بعض الوقت .. سيحزن (علاء) كثيراً لو فقدت هذا الحمل .. لكن لا .. من قال إنه يبالي به أصلاً؟ كان خائفاً من مشكلة الأبوة فى بلد غريب .. هذا شىء أفهمه وأقدره .. لكن المشكلة الآن أنه لا يبالي بالأمر على الإطلاق .. أنا مجرد فتاة شقراء موجودة بشكل ما فى داره ..

نهضت لأغسل وجهى ، وهنا شعرت بأن مركز إبصارى بقعة سوداء .. وقدمائى لم تعودا ملكى .. إن قانون الجاذبية أقوى من الجميع يا فتاة فلا تحاولى ..

إنه يسقط التفاح فوق رأس (نيوتن Newton) .. ويفغر الأرض بالمنظر ، ويجعل الطبييات الكندييات يسقطن على أرض الحمام ..

وسمعت صوت من يطرق الباب بالخارج .. نسيت أن

أقول إنه في هذا البيت العتيق لا يعتمد الحمام على
المزلاج .. يعتمد على التفاهم العام بين أفراد الأسرة ..
هناك أحدهم بالداخل فلا تدخلوا ..

هكذا سمعت من يطرق الباب .. يبدو أن الفترة طالت ، ثم
انفتح الباب .. لا أعرف من دخل .. على الأرجح زوجة أخي
(علاء) وأخوه .. وشعرت بأنني أحمل حملاً إلى الفراش ..
أنا أفضل حالاً بالتأكيد .. لا تقلقوا .. إنهم طيبون فعلاً
ملتهبو العاطفة هنا ..

الزوجة تجفف عرقى البارد بمنشفة ، وأم (علاء) التي
جاءت من مكان ما دون أن ترى شيئاً أعدت لي كوباً من
عصير الليمون البارد .. بينما الزوج يمسك بالهاتف ويطلب
عدة أرقام في هستيريا ..

بعد قليل ظهرت تلك السيدة المحجبة التي تحمل ملامح
الطب التي لا يمكن الخطأ فيها .. هاتان العينان الفاحصتان
المتعبتان اللتان لن يدهشهما شيء ..

أجرت فحصاً سريعاً لي فسألتهما السؤال الأهم بـإنجليزية
الكسيحة :

- « هل فقدته ؟ »

قالت بـإنجليزية ليست أحسن حالاً :

- « لا .. هذا إجهاض منذر .. سأحقتك ببعض الهرمونات
إلى أن تتمكني من إجراء فحص بالموجات الصوتية .. »

- « وهل أحتاج إلى دم ؟ »

- « لا أعتقد ذلك .. سأصف لك بعض الحديد بالفم .. »

وهكذا أخذت العلاج لكني لم أشعر بأنني أفضل حالاً ..

في السابعة مساءً جاء (علاء) .. وسمعتهم يحكون له
التفاصيل من الخارج ..

أخيراً جاء .. لا أقبل حقيقة أنه كان متغيّباً بلا عذر ..
ماذا دهاه ؟ لماذا تغير ؟

لست ممن يدمنون الرثاء للنفس ، لكني لم أستطع
المقاومة أكثر ورحت أنهنه في الظلام ..

بعد قليل دخل الغرفة المظلمة ، واتجه كالعادة ليتسلق
خزانة الثياب ليضع ما معه من أوراق في ذلك الرف
العالي .. هذا هو أول ما يفعله حين يعود إلى الدار ، وأنا
لست فضولية ، لكني الآن أتساءل بحق ..

تعالى صوت بكائي فكان أول ما حياه .. عيناى اعتادتنا

الظلام لهذا رأيت ورأيت الحقيقية التي وضعها جوار الفراش .. لكنه انتظر كثيراً حتى يعرف أين أنا ..

جلس جوارى وتحسس معصمى فى رفق .. وهمس :

- « (برنادت) .. أنت فى حال سيئة .. إن يدك باردتان

كالثلج .. »

لم أرد وواصلت البكاء .. بكاء المرأة الذى يشبه انهيار السدود فلا ينتهى إلا حين ينتهى ، ولا توجد قوة فى الأرض تستطيع منعه إلا جفاف الدموع ..

- « (برنادت) .. أنت .. أنت تتعذبين ؟ هل تتألمين ؟ »

لم أرد وواصلت البكاء فى صمت ..

- « (برنادت) .. هل تتألمين ؟ هل تشعرين بدنو النهاية ؟ »

قالها فى شىء من اللهفة .. ما هذا ؟ هل جن ؟ آخر ما يقال لمريض على الفراش هو : هل تشعر بدنو النهاية ؟ ثم ما سر هذه اللهفة ؟ لم كل هذا التوتر ؟

أغمضت عيني .. وقررت أن أنام .. ربما للأبد لو كنت

حسنة الحظ ..

هنا شعرت بشىء غريب يثبت إلى ذراعى ..

كان - المخبول - يثبت إلى كاحلى وساعدى قيوداً تشبه تلك المستخدمة فى جهاز تخطيط القلب .. ما معنى هذا ؟ كان يلهث كالمجنون ويقول وفمه مغلق :

- « صبراً .. إن هى إلا لحظات .. اصبرى يا عزيزتى !! »

ما هذا ؟ هل جن الجميع ؟

نهضت واثبة من الفراش برغم آلامى وانتزعت هذه القيود ، وركلتها ، فراح يجمع الأسلاك فى هستيريا كى لا تتبعثر .. كل هذا على الضوء الخافت القادم من الصالة ..

- « هل تجرى على تجربة ما ؟ هل جننت ؟ »

طبعاً هى تجربة .. يذكرنى هذا بذلك البلجيكى الوغد - هل كان اسمه (دوبون) ؟ - حين راح يسجل لحظات الألم الشنيع لصبى إفريقى محترق ، فقط كى يضم عاطفة قوية إلى مكتبته الخاصة .. يوماً أوسع (علاء) ضرباً وكاد يطرد من (سافارى) .. لكن هذا كان (علاء) أعرفه وأفهمه .. أما (علاء) هذا فهو يفعل نفس ما فعله (دوبون) ربما بشكل أقطع ..

(دوبون) لم يجر هذه التجربة على زوجته الحبلى !

- « أنت جننت !! »

هنا بدا لى وقد تراجع قليلاً ..

طرقات على الباب .. لقد سمعوا صرخاتى بالفرنسية :

- « هل هناك مشكلة يا (علاء) ؟ »

قال بصوت مبسوح شيئاً ما بالعربية ، فزال الطرق ..
ودفن وجهه بين كفيه ..

كان بيكى ..

قلت له وأنا أرتجف غضباً :

- « (علاء) ! أنا لا أعرف مادهاك .. لقد صرت وغداً
لا يبالي بأحد .. ثم ولعك بروية الألم .. أرى عينيك تتابعان
نشرات الأخبار فى شغف .. تتحرق شوقاً لترى هؤلاء الذين
احترقوا أو جرحوا فى الحروب والكوارث .. »

وأخذت شهيقاً عميقاً كى لا أفقد وعيى .. هل عاد
النزف ؟ لا يهم ..

- « كنت تتحرق شوقاً لتكون جوار أمك .. ثم هاهى ذى ..
أنت لا تراها تقريباً .. ومن يضمن لك أن تكون حية فى
إجازتنا القادمة ؟ كنت متديناً لكنى منذ جننا هنا لم أرك
تتعبد مرة واحدة .. أنت تغيرت كثيراً جداً حتى إننى لأعتقد
أنك ممسوس أو تحت استحواز ما .. »

ووضعت أناملى تحت ذقنه وسألته بهدوء :

- « هل لديك ما تقول ؟ »

نظر لى طويلاً ، وفى عينيه تلك النظرة التى تراها فى
عيون المجرمين على صفحات المجلات .. ثم قال :

- « ليس لدى ما يقال .. »

وجمع أسلاكه وحقيبتيه وغادر الغرفة .. وعرفت أنه
غادر الدار ذاتها ..

ما إن اتصرف حتى اتجهت إلى خزانة الثياب .. تسلفت
إلى أن بلغت الرف العلوى .. قدماى ترتجفان .. إننى ..
أى !!

انفتح الباب ودخل أخو (علاء) ليجدنى على الأرض
أتأوه .. هتف وهو يعينى على النهوض بشيء ما بالعربية ..
يلومنى على الأرجح على أننى غادرت الفراش ، فأشرت له
بيد ترتجف إلى الرف العلوى وقلت فى حزم بالإنجليزية :

- « أوراق .. أوراق .. »

قال شيئاً ما ، ثم وثب على الإفريز ، وتناول الملف
الخاص بـ (علاء) وجلبه لى .. أعتقد أنه حسب الأوراق

تخصني .. ثم وجد شيئاً آخر .. مجموعة من الخطابات ..
نظر لها وابتسم ثم دسها في جيبه(*) ..

ابتسمت له شاكراً ، فحياتي وغادر المكان ..

أخيراً أمسك الأوراق بين يدي . أكره أن أفعل ، هذا لكني
مرغمة عليه .. لا يوجد الكثير على كل حال .. هناك
مذكرات بالعربية يبدو من التاريخ أنها تقع في هذه الأيام
بالذات ، ولعل (علاء) كان يكتبها في أثناء نومي كما أفعل
أنا هذه الأيام .. وهناك خطاب طويل بالفرنسية .. يبدأ
بالكلمات التالية :

- « إلى الطبيب الشاب الذي سيقراً هذه الأوراق : »

وينتهي بالكلمات التالية :

- « سامحني على ما قمت به .. وأتمنى لك حظاً سعيداً

في تجاربك القادمة .. »

بإخلاص : ارنست كومارسكي

قرأت الخطاب في تركيز .. وبدأت أشعر بحلقى يجف ..

هل هذا هو تفسير ما يحدث لـ (علاء) الآن ؟ ما زال

(*) ملحوظة : أعتقد أن أخت (علاء) وجد خطابات (مى) التي أخفاها

(علاء) عنه منذ نحو عشرين عاماً !!

(كومارسكى) يمارس تأثيره الضار بعد هذه الأعوام كلها ..
بل إن (علاء) حمله معه إلى (مصر) ..

ماذا في هذه المذكرات ؟ لا بد من أن أعرف ..

اتجهت إلى الهاتف وطلبت الرقم الذي أعرفه .. (مختار
أبو سيف) .. يجب أن يترجم لي ما تحتويه هذه الأوراق ..

كانت العاشرة والنصف مساء ونحن جالسان في
الصالون .. حين فرغ من قراءة هذه الأوراق .. ترجم لي
محتواها إلى الفرنسية ببراعة .. إن (مختار) من ذلك
الطراز الذي ينطق وجهه بالذكاء وسوء الحظ معاً ، وثمة
لمحة معينة من المرارة تراها من حين لآخر في اضطراب
ركن فمه حين ينسى أن يضحك .. وفي هذه المرة كان
ينسى كثيراً أن يضحك ..

كان البيت خالياً إلا من الأم التي جلست في الصالون
على سبيل الترحيب بصديق (علاء) .. لعلها كانت تحمل
ألف سؤال وسؤال ، ويبدو أنه قال لها إنني طلبته لحل
خلاف جوهرى بينى وبين (علاء) .. لم تكن تفهم شيئاً
و (علاء) لم يكن موجوداً ليفسر لها ..

فقط هي فوجئت بـ (مختار) يأتي إلى البيت في العاشرة مساءً ، وأنا أقابله حاملة مجموعة من الأوراق .. واضح أن سلوكنا مريب فعلاً .. لكنها على الأقل كانت تعرف أن (علاء) يمر بمشكلة ما ، وأنه صار غريب الأطوار ، وأنا تشاجرنا هذه الليلة وبعدها انصرف (علاء) ولم يعد حتى هذه اللحظة ..

قال (مختار) بعد أن فرغ من القراءة ومحاولة الاستيعاب :

- « نعم .. الإثنين .. ٣ يونيو .. هذا آخر شيء كتب هنا .. هنا تنتهي المذكرات اليوم بالذات .. واضح أنه كتبها في ذلك المختبر ثم عاد بها إلى الدار .. أعرف ما تريدين قوله .. كلانا لانبج كثيراً مانسمعه .. الأمر غريب جداً لكن علينا قبول الحقيقة . »

كانت الحقائق المرعبة التي استخلصناها من مذكرات (علاء) هي :

١ - لم يكن (كومارسكى) يمزح .. لقد حل هذا الشيء بـ (علاء) فعلاً ..

٢ - (علاء) قد أعد كل شيء كي تعود أبحاث (كومارسكى) للحياة ، بل بدأ التطبيق !

٣ - هناك فتاة مهددة هي تلك البائسة (نسرين) .. ربما كنت لأتعاطف معها أقل لو كان يحمل أدنى ميل نحوها ، لكن من الواضح أنه يخدعها لا أكثر .. آخر كلماته تحدد لنا بالضبط ما سيكون ..

٤ - من الواضح أنه لم يفقد إنسانيته بعد .. هو يقاوم ما حل به كأي مريض عصاب .. لكن الشيء أقوى منه .. بدا هذا واضحاً الليلة .. لو كان يسيطر على الظاهرة لما فعل ما فعل .. ولو كانت الظاهرة تسيطر عليه لأصر على أن يكمل ما بدأه معي .. هذا يذكرني بالفيروسات التي تغزو البدن .. قد تكون مناعة الجسد عالية تبديد الفيروس ، وقد تكون واهنة فلا يحدث شيء ويظل المريض يحمل الفيروس كحامل عدوى للأبد .. أما أن تتساوى مناعة الجسم مع شراسة الفيروس .. عندها يكون الالتهاب العنيف المدمر ..

أمسك (مختار) بورقة مكتوبة بالعربية وجدها بين الأوراق ، وقال :

- « هذا عقد الشقة المفروشة .. يمكن القول إننا نعرف أين يذهب الآن .. »

قلت له :

- « والحل الصائب ؟ »

قال وهو يتأمل الأوراق :

- « سألحق به الآن هناك .. فى الغالب هو هناك .. سأعرف كيف أمنعه .. أرجو أن تعيدى المذكرات لمكاتها بدقة . هذا يضمن لنا أن نعرف ما سيحدث وليس ما حدث فحسب »

ثم ضاقت عيناه فى شرود وقال :

- « لا أعرف إن كان هناك تفسير مادي لهذا الذى يجرى له ، ولا أدري إن كان من الصواب تجربة سبل مادية مع شىء ميتافيزيقى .. لكنى سأحاول .. سأراهن على أن موجات دماغية غريبة تسيطر عليه ، وأعتقد أن العلاج بالصدمات الكهربائية ECT قد ينجح فى إعادة أيونك دماغه إلى توازنها الطبيعي .. »

- « صدمات كهربية ؟ وكيف ؟ »

- « دعى الأمر لى ، فالجهاز معى فى السيارة .. لكنى أريد منك أن تبقى جوار الهاتف .. أعتقد أننى سأحتاج إليك هذه الليلة خاصة لو تصرفت وحدى .. »

لم أدر ما أقول .. أنا مريضة منهكة نذفت دما كثيرا ، لكن رغبتى فى الاحتفاظ بمن أحب جعلتني قادرة على التماسك .. سأقاوم .. وغدا سأكون أفضل ..

بعد ساعة ونصف دق جرس الهاتف .. رفعت السماعة فى لهفة ، فسمعت صوت د . (مختار) يقول :

- « انتهى الأمر ! إنه معى ! هل تستطيعين النزول الآن ؟ »
ووضع السماعة قبل أن يسمع ردى ..

كان هذا شبه مستحيل .. لكن لم لا ؟ لأحد فى الدار سوى وأم (علاء) ، وعلى قدر علمى هى تغط فى النوم الآن .. ثم إننى فتاة رشيدة ولن يمنعنى أحد من مغادرة الدار ، خاصة وأن زوجى ينتظر بالخارج .. لن يقيد أحد حرىتى ..

ثمة متع واحد هو أننى فى أسوأ حال وقمماى عاجزتان عن حملى ، لكنى تماسكت .. أستطيع عمل هذا .. سوف أنجح ..

ارتديت ثيابى وأخذت حقيبتى ، وبرفق عالجت الباب .. أعتقد أن أذننى السيدة لم تعودا على مايرام ، بسبب تصلب العظام والسن .. وحتى لو لم يكن الأمر كذلك فلن يمنعنى أحد من النزول .. لقد صرت غير قابلة للإيقاف ..

ونزلت فى الدرج ببطء ؛ كى لا يعاودنى النزف ..

أخيراً وقفت فى الهواء الطلق شاعرة بقطرات العرق البارد تحتشد على جبيني ، لكنى كذلك كنت أشعر بحاجتى إلى الهواء ..

سيارة تقف أمام المدخل ، وأنوارها مطفأة لكنى أرى
الباب مفتوحاً وجواره د . (مختار) .. وفى المقعد الخلفى
لمحت ظلاً ما يرجع رأسه للخلف ..

دنوت من السيارة أكثر . إن لم يكن هذا هو (علاء)
نفسه

صحت وأنا أنظر من النافذة الخلفية :

- « (علاء) ! ماذا دهاك ؟ »

نظر لى بعينين لا تريان .. عينين بلون الدم .. ثم أغلق
عينيه كأنما يعود لغيوبة ..

قال لى د . (مختار) وهو يستند إلى الباب ويشعل لفافة
تبغ :

- « لا تقلقى .. لقد أفاق من فوره من جرعة (كيتالار)
مخدرة ، وجلسة كهربية .. كيف تحسبينا نجرى الصدمات
الكهربية ؟ على شخصٍ واعٍ متيقظ ؟ »

وقفت أرتجف غير فاهمة ، فقال لى :

- « كان على وشك إنجاز مهمته ! »

فتحت عيني غير فاهمة ، فقال فى صبر :

- « الفتاة كانت عنده فى الشقة التى استأجرها وكانت
مقيدة مكعبة .. أعتقد أنه قابلها بعد ما انتهت ساعات
عملها ، واستدرجها بشكل ما إلى المختبر .. كانت هناك
عدة أسياخ وإبر .. وموقد صغير .. أعتقد أنه كان على
وشك البدء فى استخلاص الظاهرة .. وكانت الفتاة مربوطة
بالأسلاك التى تتصل بجهاز صغير .. حاول منعى من دخول
الشقة لكنى دخلت ، ورأيت المشهد .. هناك كان قد تحول
إلى وحش حقيقى .. انقض على وراح يعتصر عنقى .
ألقانى أرضاً .. إن (علاء) ليس ضعيفا فإذا أضفنا لهذا
قوة الجنون لكانت النتيجة مرعبة .. شعرت بأننى »

وكشف عن عنقه .. وبرغم الظلام استطعت أن أرى
السحجات والكدمات الحمراء على منبته ..

- « شعرت بأننى أغيب عن العالم .. ولا أعرف كيف
مددت يدي إلى جيبي وأخرجت المحقن وغرسته فى كتفه .. »
وألقى بلفافة تبغه .. ثم أشعل أخرى بيد ترتجف ..

نظرت له محتجة لكنى كنت أضعف من أن أتكلم .. قال :

- « غاب عن الوعي فقامت بإحضار جهاز الصدمات

الكهربية من السيارة .. إنه خفيف الوزن كما تعلمين ، أقرب إلى صندوق خشبي صغير .. قمت بكل شيء وحدي .. وفي النهاية مررت التيار في رأسه .. لا أعرف ما حدث .. لكنني أعتقد أنه هداً قليلاً .. لو كان بوسعنا أن نجرى له تخطيطاً دماغياً قبل وبعد الصدمة ، فلا شك أننا سنجد نتيجة واضحة .. بمجرد أن أفاق ساعدته على النزول ليرقد في المقعد الخلفي للسيارة ..

ثم ابتسم ابتسامة صفراء في الظلام ، وقال :

- « وها نحن أولاء ! »

برغم أننا أقرب إلى الصيف منا إلى الربيع ، فإني شعرت بأن البرد ينخر عظامي .. سألته وأنا أعقد ذراعي حول جسدي :

- « حسن .. والفتاة ؟ »

- « حيث هي ! لا أعرف الحل الصائب .. لكنني أضمن لك شيئاً واحداً .. لو أطلقنا سراحها لمألت الدنيا صراخاً .. أعتقد أن علينا أن نقرر غداً ما سنقوله لها .. »

- « هل تجد لديك من القسوة ما يسمح لك بتركها وحدها في ذلك البيت الرهيب ؟ »

- « بمقدار ما لديك من القسوة التي سترسل (علاء) إلى السجن ، أو المصحة العقلية .. »

الحق أن الموقف بدا لي بلا فكاك .. (علاء) مريض ولا يستحق ما سيحدث له .. لكن الفتاة ..

- « اتركى لى الأمر وسأعرف كيف أدبره .. »

ثم ألقى بلفافة التبغ وأشعل أخرى .. تمنيت أن يظل حياً إلى أن نتفق على سياسة ما .. قال :

- « النقطة الأخرى هي أنني أخشى أن يفيق (علاء) ليتذكر كل شيء أو يأتي برد فعل مما نسميه Rebound أو تفاعل الارتداد .. لا أعرف ما قد يحدث له غداً ، لكنني أوصي أن يبقى بعيداً عنا .. لربما نسي كل شيء عما حدث له .. ولربما تخلص من هذه الظاهرة فعلاً .. »

قلت في سرود :

- « فندق ! »

- « نعم .. سيقضى الغد كله وحيداً في فندق بعيداً عن الأحداث .. وإني لأعتقد أن صدمة الإفاقة في مكان غريب قد تلعب دوراً في الشفاء .. »

- « وهل حالته تسمح بالبقاء وحيداً ؟ »

- « هو ليس مريضاً .. عقله هو المريض وقد بدأ

عملية الشفاء .. »

ثم بحث في جيبه وقال بخرج :

- « لا أملك مالا يكفي الآن فلربما .. »

قلت له وأنا أفكر فيما قال :

- « إن (علاء) يحمل بطاقة الائتمان دوماً فلا تخش

شيئاً .. »

- « إذن فلنسرع .. كلما أفاق ونحن لسنا معه كلما كان

هذا أفضل .. »

وأضاف وهو يستقل السيارة :

- « أو هذا ما أرجوه .. »

ودون كلمة أخرى درت لأركب في السيارة جوار (علاء) ..

وانطلقنا في ظلام الليل متجهين إلى وسط القاهرة ..

مر (مختار) على داره واختفى لدقائق ، ثم جاء بحقيبة ،

يبدو أنه وضع فيها بعض المستلزمات لـ (علاء) .. ربما منامة

وما إلى ذلك ..

كان (علاء) قد بدأ يفيق ، وراح يهذى بكلام لا تفهم
أوله من آخره .. ثم نظر لى وتساءل في توتر :

- « إلى أين نحن ذاهبان ؟ »

قلت بلهجة لا أثر فيها لأي انفعال وكأني أخاطب
رضيحي :

- « إلى الفندق .. كما تعلم .. نحن نتزهدنا والآن نعود

إلى الفندق .. »

هز رأسه في فهم وقد اتسعت عيناه تقديراً لأهمية هذه
المعلومة ، وكأنما أهديته سر الكون ، ثم أغمض عينيه
وواصل النوم ..

كل هذا من (كليمنجارو) ! أنا الحمقاء التي نصحته بأن
يجرب .. كان متردداً .. لكني أصررت واخترت له مصيراً
أسوأ من الموت بكثير .. للمرة الأولى يا (علاء) أتمنى لو
أنك لم تعد .. كنت ستلقى نهاية أكثر شرفاً من هذه .. نهاية
لا بد أنك كنت تفضلها وتشتئها ..

وتدافع الدم إلى غددى فمخري فرحت أتهانف في ظلام
السيارة ، وسمعت (مختار) يقول من المقعد الأمامي :

- « تماسكى بالله عليك .. سوف نشير ربيبة موظفى الفندق ! »

- « هل يحدث هذا غذا؟ أعنى (اليوم) فقد بدأ فعلاً .. »

- « ربما .. لكنه مرهق .. مرهق إلى حد أنه قد يمضى اليوم كله فى الفراش .. أعتقد أنه سيعود يوم الأربعاء .. وإن لم يعد سأتى هنا لأعيدة بنفسى .. »

ثم نظر لى وابتسم :

- « لا تقلقى .. إنه لم يفقد كل ذاكرته .. سينسى تجاربه فقط .. لكنه لن ينسى من هى امرأته وأبن بيته .. »

- « أتمنى ذلك .. »

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

مددت يدي فى الحقيبة وأخرجت نظرتى السوداء التى قلما أرتديها .. لا أعرف لها نفعاً إلا إخفاء العيون المتورمة المحمرة الدامعة .. نظارة سوداء فى الليل .. سيقولون إننى امرأة غريبة الأطوار .. هذا خير من امرأة تبكى ..

اجتازنا مدخل الفندق ، وكان موظف الاستقبال يكلمنا وعيناه ثابتتان على (علاء) !! إنه واع لكنه لا يتفاعل ولا يتكلم .. فيما بعد عرفت أن (مختار) أفهم الموظف أن (علاء) ثمل .. وأنا نرغب فى أن يجد غرفة هنا حتى لا تحدث شوشرة .. ومد يده وأخرج من جيب (علاء) أوراقه ..

جاء خادم الغرف ، فصعدنا معه حتى الغرفة التى وجدناها .. نقده (مختار) (بقشيشاً) طيباً مقابل أن يلبي كل ما يطلبه ساكن الغرفة ، وألا يزعجه أو يسمح لأحد بإزعاجه .. وتأكدنا من وضع لافتة (لا تزعجنى) معلقة من مقبض الباب بالخارج ..

قال (مختار) وهو يتنفس الصعداء :

- « سأوصلك للبيت الآن .. وأرجو أن يعود (علاء) إلى

بيته وإلى حقيقته .. »

الثلاثاء ٤ يونيو :

أنا الآن أكتب هذه الكلمات ، منهيّة أحداث يوم طويل ..
ترددت طويلاً قبل أن أقرر هل هذه الأحداث تقع في نطاق
الإثنين أم الثلاثاء .. نميل إلى اعتبار أن يومنا الفسيولوجي
هو الساعات التي تبقى فيها يقظين .. في النهاية قررت أن
تتنصر الجغرافيا ، وأن أعترف بأنني في يوم الثلاثاء ..

سأستريح اليوم .. لن أفعل أي شيء سوى الرقاد في
الفراش ، عازمة على أن أستجمع قواي ، كي أواجه
ما يجب أن أواجهه !

أعدت الأوراق إلى الخزانة .. كلها تقريباً ، لأنني لم أجد
تلك الأوراق المكتوبة بالبولندية .. كانت في الملف حين
عرضتها على د . (مختار) .. لا أريد أن يلاحظ (علاء)
اختفاء شيء يبحث عنه .. سأطلب من (مختار) غداً
إعادتها لي ..

من المريع أن (علاء) كان يأخذها معه في الصباح كل
يوم ، ويعيدها لموضعها في المساء .. هل هو الحذر ؟

لا .. بل الأمر أشنع من هذا .. كما يفعل البخيل الذي
يكره أن يترك ماله في المصرف بعد ساعات الإغلاق .. من
ثم يسحب ماله يومياً كي ينام معه !!

يا له من يوم ! اكتظ بالناس ، والكل يبحث عن
(علاء) .. لماذا لم يعد أمس ؟ تشاجر معي ثم غادر البيت
غاضباً .. ماذا كان موضوع المشاجرة ؟ لم يفهموا لأنها
كانت بالفرنسية ..

أرى الشك في عيونهم ، وربما بعض الكراهية ..
الشيطانة الأجنبية التي جاءت لتجعل حياة ابنهم جحيماً ..
والأسوأ أنها لا تفهم الشتائم العربية ولا اللوم بالعربية ..

لا ألومهم على شيء .. الموقف لا يحتمل تفسيراً آخر ..

مكالمات هاتفية .. صديقه (أشرف) يأتي وينصرف ..

لو كان لموقفى هذا مزية ما ، فهي أنهم يعتبرونه غاضباً
هجر البيت ، ولا يعتبرونه قد أصيب بضرر على الأرجح ..

الأربعاء ٥ يونيو :

من الناحية الصحية أعتقد أنني أفضل بمراحل .. إن راحة يوم كامل في الفراش مع الطعام المغذي قد أفادتني بحق .. إنهم يعنون بي جيداً هنا ، لكنهم لا يكونون لي حياً عارماً خاصة بعد ما حدث ..

ثمة خبر مثير بحق .. لقد عاد (علاء) وكان القلق قد بدأ يعتصرني .. طلبت الفندق مرتين أمس ثم عدت عن الكلام بمجرد ما كانت السماعة ترتفع في غرفته .. على الأقل هو هناك ..

الآن عاد .. لكنني لم أستطع أن أفصح عن شيء .. قابلته في فتور ، لكن البكاء غلبني .. تواريت في الغرفة الداخلية شاعرة بالغيب من نفسي .. أوشك هذه الأيام أن أتحول إلى صنوبر مياه ..

بالنسبة لأهله كان اللقاء عاصفاً .. لا أعرف ما قيل بالضبط لكنه يحوى الكثير من اللوم والصراخ ..

كل أبناء البحر الأبيض المتوسط لا يدخرون في ارتفاع الصوت وحركات اليد ، وقديماً قيل إنه لو جاء مريخي من الفضاء ، ورأى الإيطاليين يتكلمون لحسب أن الإيطاليين صم وأن الإيطالية لغة إشارة ..

كل أبناء البحر الأبيض المتوسط لا يدخرون في ارتفاع

الصوت وحركات اليد ، وقديماً قيل إنه لو جاء مريخي من الفضاء ، ورأى الإيطاليين يتكلمون لحسب أن الإيطاليين صم ، وأن الإيطالية لغة إشارة ..

شيء واحد أعتقد أنني متأكدة منه .. هم لم يخبروه بموضوع مجيء (مختار) ليلاً ونزولي في ساعة متأخرة - لو كانت أمه العجوز لاحظت ذلك - ولعلمهم يحاولون ألا يزيدوا تعقيد الأمور المعقدة أصلاً ..

في النهاية جاء (علاء) .. وكنت جالسة على الفراش أحاول أن أقرأ مجلة طبية .. عواطف متناقضة بين أن أرتمي على صدره وأعترف بكل شيء .. أو أبكي فرحاً بعودته .. أو أظهار بالبرود .. وقررت أن ألعب الدور الأخير ..

ومن الغريب أنه طلب مني أن تنتزه في القاهرة القديمة .. أغرب فكرة تخطر له في هذه الظروف بالذات ، وإن كانت قد راققت لي . يجب أن نمشي معاً .. نتبادل حديثاً طويلاً معاً .. يجب أن أعرف إن كان بقي لديه شيء من تلك الظاهرة اللعينة ..

وفي المساء كنت أشعر بأبني استعدادته .. لقد بدأ يصير هو .. والغريب أنه لم يبد على علم على الإطلاق بمشادة المساء المشهود ، وقصة إجهاض المنذر .. كأن هذه اللحظات محيت من ذاكرته تماماً ..

هل الدكتور (مختار) عبقرى أم محظوظ أم أنا حمقاء ؟
سوف يعطى الزمن الإجابة الصحيحة ..

الخميس ٦ يونيو :

أتحسّن بلا شك .. لقد عاد لوجهي لونه الآدمي بعد ما كان قد قرر أن يتحول إلى ثمرة ليمون ..

ولكن حدث شيء سخيّف اليوم .. (علاء) قرر أن يذهب إلى (حلوان) !

وأنا أعرف ما يفعله في (حلوان) .. هل كنت واهمة ؟ هل الأمر أجمل من أن يكون حقيقة ؟

اقترحت أن أذهب معه ، لكنه رفض بشكل قاطع ..

اتصلت بالدكتور (مختار) .. هذا الرجل لم يعد يرد على الهاتف على الإطلاق .. اعتقد أنه يرى رقم هاتفى عنده ، فيوقن من أن مكالمتى لن تجلب إلا المزيد من المتاعب .. وكالعادة لا ألومه على ذلك ..

لا يوجد شيء أفعله .. سأنتظر عودة (علاء) ..

من يدري ؟ ربما أصارحه بكل شيء ..

الجمعة ٧ يونيو :

ما زال النقيضان : أنا أتحسن و(علاء) يتدهور .. وما زال (مختار) لا يرد ..

ماذا يحدث هاهنا ؟؟؟

(علاء) يغادر البيت كثيرًا هذه الأيام فماذا دهاه ؟ هل عاودته حالة الاستحواذ هذه ؟ أحيانًا أحسبه شفى كأنما لم يمرض قط ، وأحيانًا أجده مريضًا كأنما لم يكن لى فى يوم من الأيام ..

ماذا يدور فى ذهنه ؟

أعتقد أنه مستمر فى تدوين مذكراته ، لكنى لا أجد الشجاعة الكافية كي أخذها من جديد ، دعك من أنه ليس هناك من يترجمها لى .. إن مترجمى الوحيد لا يرد على الهاتف ..

السبت ٨ يونيو :

عاد (علاء) اليوم مثخناً بالجراح ..

الجراح النفسية ما أعنى .. وليتها كانت جسدية .. إن الأخيرة تبرأ على كل حال ..

جلس يدون مذكراته بعض الوقت .. استغرق الكثير من الوقت فى الواقع كأنما يحكى ذكرياته منذ تلقى صدمة الولادة الأولى .. ويبدو أننا سنتحول مع الوقت إلى أديبين عظيمين ..

هذه العطلة تحتاج إلى عطلة أخرى كي ننسى قروحنا النفسية .. ليس لبلده ولا أهله ذنب ، فقد جننا نحمل معنا تلك اللعنة من (كينيا) ، لكنى سأظل أنكر هذه الإجازة طويلاً جداً .. وليتتى كنت أجهل ما هنالك .. إذن لفسرت ما يحدث بالملل الزوجى أو الخيانة أو تفسير سطحى مريح آخر ، وكنت سأستمتع بلعب دور الشهيدة المضطهدة ..

لكنى أعرف أن السرطان النفسى ينخر فى روحه .. إنه لمشهد أليم كثيراً عما لو كان سرطان القولون هو الذى يمزقه .. ولا أستطيع تجاهل هذا ..

يا لعينيك الذابلتين ! يا للنظرة المتعبة الغارقة فى الندم فى عينيك ! لو كانت الفراسة كافية لإصدار الأحكام لأعدموك فوراً فى ميدان عام بلا محاكمة ..

جاء قرب الفراش حيث أتربع ، وصمت كأنما يبحث عن شىء يقوله .. فنظرت له متسائلة ..
- « ثم ؟ »

رفع حاجبيه مندهشاً ، فقلت له :

- « تبدو بصدد اعتراف عظيم الخطر .. »

ابتلع ريقه وتحاشى نظراتى ثم قال بصوت مبحوح :

- « إنه اعتراف بسيط .. ولا أعرف إن كان يهيك أم لا .. »

ثم غطى وجهه بيده وأردف :

- « أعتقد أننى قتلت .. على الأقل ثلاثة أشخاص ! »

يا لك من أحمق ! يا لك من معنوه ! إنك تزداد خبالاً يوماً بعد يوم ..

لقد حكى لى كل شيء .. كان بيكى كطفل ، وكنت أربت على شعره وأتخلل خصلاته الخشنة ، وأنا أردد بلا كلل :

- « صبراً أيها الأحمق ! صبراً أيها الساذج .. »

كان اعترافه لى مرعباً .. على أقل تقدير يمكن القول إن هناك فتاة ميتة دفنت فى جدار تلك البناية المتهاككة ، لكن هل هى (نسرين) حقاً ؟

قلت له فى غيظ من حماقته :

- « لا يمكن أن تكون اعترفت هذا .. هل تعرف السبب ؟ لأننا أنقذناك من نفسك أيها الأحمق ! أنقذناك ووضعناك فى فندق ، وحين أنقذناك كانت الفتاة حية ترزق .. »

بدا عليه الكثير من الحمق فعلاً .. فلم أكن مخطئة فى وصفى له .. وكنت مرهقة عاجزة عن شرح كل شيء فناولته هذه المذكرات .. وقلت وأنا أخرجها من تحت حشية الفراش :

- « اقرأ هذا .. فلست أنت الوحيد الذى يكتب مذكراته خلصة ! »

وجلست أراقبه وهو يقرأ بسرعة جنونية .. لا بد أنه قرأ هذه المذكرات فى خمس دقائق ..

بدا أنه فرغ من القراءة ، فنظر لى بعينين تتوسلان غطتهما سحابة من الدموع الرجولية التى تأبى الانزلاق لأسفل ، وقال :

- « إذن أنا مدين لك بكل شيء .. لكن من يضمن لى أننى لم أغادر الفندق لأنى ما بدأت ؟ كان عندى يوم الثلاثاء بالكامل .. »

- « طلبتك فى الفندق أكثر من مرة وكان هناك من يرفع السماعة »

نظر فى ساعته وهتف :

- « التاسعة ؟ ربما كان هناك وقت .. فلنسرع الآن ! »
لم أدر ما يريد ، لكنه كان قد اتخذ قراره .. لا وقت للتفسير ..

وضعت ثوباً ما على كتفى ، فأمسك بيدي وودع أمه وانطلقنا نثب فى الدرج .. حتى صحت فى رعب :

- « (علاء) !! أنا لا أستطيع ملاحقتك ! لاتس أننى ... »
ووجدت نفسى فى الشارع ، بينما سألتنى وهو يهرع كالمجنون إلى محطة المترو :

- « أنك ماذا ؟ »

- « أننى أننى لم أشف بعد بالكامل .. مازال من الممكن أن »

سألنى والمترو ينطلق بسرعه المجنونه :

- « أن ماذا ؟ »

- « أن يعاودنى النزف لأن »

نهرع خارجين من المحطة ، وهو يسألنى :

- « لأن ماذا ؟ »

قلت وأنا أجدُ السير وراءه :

- « لا شيء .. انس الموضوع ! »

(أعرف أن المسافة أطول من هذا ، لكنى فقط أستخدم نوعاً من المبالغة الأدبية ..)

رحنا نمشى بين شوارع الضاحية الهادئة ، حتى بلغ تلك المساحة الخالية . دار عند أول منعطف على اليمين ، وهناك كانت ورشتان .. إحداهما أغلقت والأخرى يقف أمامها رجل يبدو من الحرفيين ، وكان منهمكاً فى غلق المحل ، حين استوقفه (علاء) وسمعه يسأله :

- « أسطى (عبد الوهاب) ؟ »

هز الرجل رأسه فى شك ، فتبادل (علاء) معه محاوره بالعربية لم أفهم منها حرفاً ..

فى النهاية شكره (علاء) وعاد لى وعلى وجهه ضحكة منتصرة ، وقد بدا لى شخصاً آخر .. قال لى وهو يمسك بيدي :

- « لحسن الحظ أنه لم يغلِق الورشة بعد .. إن غذا هو الأحد يغلقون متاجرهم مبكراً .. هذا الرجل جاء إلى الشقة يوم الثلاثاء ليصلح عطلاً كهربياً .. سألته إن كنت أنا من طلبه فقال إنه لم يرنى قط .. الآخر نحيل بعوينات سميكة .. ويدخن بفضاعة .. »

تبادلنا النظرات ، وهمست :

- « يصف لنا (مختار) صديقك !! »

لم يكن (علاء) هو الذى دخل الشقة وفتحها يوم الثلاثاء .. كان فى الفندق بين فقدان الوعي والنوم وعدم الاتزان .. فقط كان الهاتف يدق فيرفع السماعه بطريقة آلية ثم لا يسمع أحداً فيعيدها لموضعها ..

(علاء) لم يقتل ولم يعذب أحداً .. وإن دنا من ذلك كثيراً ..

ولو حامت حوله الشكوك ، فإن موظفى الفندق - برغم كثرة أعمالهم - قد يقدمون له حجة الغياب Alibi .. فهو لم يغادر الفندق فقط ..

النقطة المثيرة للفرع هنا هي أن الشكوك تحوم حول (مختار) ..

لقد عاد إلى الشقة .. إذن هو اصطنع لنفسه مفتاحاً آخر .. هو من طلب الكهربائى .. هو من فتح النوافذ ليراها (أشرف) صديق (علاء) ..

لماذا ؟

بعد يوم قضاءه فى الشقة ظهرت ثلاث بلورات وجلباب أزرق .. وظهرت جثة مدفونة فى بئر السلم .. ماذا يعنى هذا ؟ الجواب كما عرفته وعرفه (علاء) هو أن الظاهرة تركت (علاء) واختارت معالجه !

حين سرى التيار الكهربى فى مخ (علاء) ، قررت الظاهرة أن تهاجم شخصاً آخر .. كما كان مرضى الطاعون يحسبون قديماً : أنك إن أصبت واحداً آخر بالعدوى تشف

أنت .. هذا ما حدث حرفياً هنا .. وإن لم يحدث بسرعة .. لقد ظل (علاء) يفكر فى الظاهرة بعض الوقت ، وحين أفاق من غيبوبته أراد أن يعود إلى الشقة ..

فى تلك الليلة أوصل (مختار) (علاء) إلى الفندق بينما ذلك الشيء ينمو فى داخله .. مشروعات كثيرة تدور فى ذهنه .. سوف يستولى على الأبحاث المكتوبة بالبولندية التى تركتها معه .. لقد صار يفهمها فجأة .. هناك فتاة معدة للتجربة فى الشقة ، وكل الأجهزة معدة متأهبة ، فلماذا يضيع هذه الفرصة ؟ هكذا تركنا وعاد إلى الشقة ليفتحها ويقبع فيها ..

ترى من الذى مر على الشقة يوم الثلاثاء فسقط فى يد (مختار) ؟ من هو Y ومن هو H ؟ أحدهما كان يلبس جلباباً أزرق . (علاء) يعتقد أن (حجازى) السمسار مر على الشقة فى هذا اليوم بالذات .. وإلا فمن اين جاء حرف H ؟ لم ينقذ الكهربائى إلا أن الكهرباء كانت مقطوعة ، ولعل (مختار) توقع أن يكون أخبر أحداً بوجهته ..

كنت أفكر فى هذه الخواطر و (علاء) يفتح باب الشقة الرهيبة ..

رائحة العطن والقدم تفوح من كل شيء ، لكنها الآن
صارت رائحة الموت ذاتها ..

رحت أرمق كل التجهيزات التي تحدث عنها (علاء)
والبرد يغزو عروقي ..

لقد فعل كل هذا وحده وتحت التأثير القاتل لذلك المخبول
(كومارسكى) ..

قلت له :

- « هل نبلغ الشرطة بما توصلنا إليه ؟ لا بد من
أن يعرف أهل المفقودين مصير ذويهم .. »

قال فى ضيق وهو يضيء نور الحمام :

- « بالتأكيد .. سيتضح السر يوماً ما ، وعندها يتنكر الجميع
الطبيب الملتحي الذى رغب فى إنشاء ورشة لتجميع اجهزة
الكمبيوتر ولم يفعل .. يجب أن أثبت براءتى هنا والآن ..
هنا والـ »

ثم صمت فجأة .. ووقف على باب الحمام ..

- « (علاء) .. هل من شيء ما ؟ »

قال فى وجوم :

- « لاتأت هنا .. ليس المنظر جميلاً .. »

ونظرت عند قدميه فعرفت أننا لم نر بركة الدم هذه لأن
الظلام كان دامساً ..

ارتجفت .. رائحة الدم جعلتنى أوشك على القىء .. الآن
أشمها بعدما رأيت ..

- « من هو ؟ »

قال وهو يوارب الباب :

- « (مختار) ! »

اتجه (علاء) إلى الثلاجة الأفقية التى يطلق عليها اسم
(المفاعل) ووقف يرمق ما بداخلها .. ما إن يفتحها حتى
تتصاعد أبخرة زرقاء مضيئة .. مشهد غريب حقاً ..

دنوت منه أكثر لأرى ، فوجدت أن الداخل مليء ببلورات
مهشمة .. حوالى عشر منها ..

- « ما معنى هذا ؟ »

قال وهو يمد يده يتفحص الزجاج المهشم :

- « هناك من هشم البلورات كلها .. إما أن يكون (مختار)

فعل هذا أو من جاء بعده .. »

- « وهل هناك من جاء بعده ؟ »

- « إذن من قتل (مختار) ؟ »

ثم أغلق الباب واستند إليه وقال :

- « لقد تحررت الظاهرة .. خرجت من معقلها .. ومن يدري ؟

لربما اكتسبت هي ذاتها خاصية ملية ما .. لربما هي التي قتلت

(مختار) .. لربما لم يمس الفتاة ولا باقى الضحايا .. »

ثم غمغم :

- « سألتى الكهربائى عن سبب الأضواء الزرقاء المنبعثة

من الشقة ليلاً .. أعتقد أن لدينا من يقوم بأعمال اللحام ،

وبدأ له هذا غريباً .. »

- « وهذا يعنى ؟ »

فى ضيق هز رأسه :

- « لا أعرف أى شىء على الإطلاق .. لا أعرف .. »

كان يتكلم وهو يتجه إلى قابس الكهرباء فانتزعه من

مكانه فكفت الثلجة عن الهدير .. ثم بجنون راح يمزق

الأسلاك كلها ..

اتجه إلى الحمام ، وعاد حاملاً حاوية بها كيروسين ..
عرفته من الرائحة ..

- « (علاء) .. ماذا تحاول عمله ؟ »

- « هذا »

وأفرغ محتويات الحاوية على الثلجة والأجهزة المعقدة
الموجودة هناك .. ثم أخرج علبة ثقاب وأشعل عوداً .. قال
لى وهو يمسكه بين أصابعه :

- « اتجهى إلى الباب وانزلى فى الدرج .. »

- « أنت مجنون .. ستحرق البناية كلها ! »

- « ليبنى أستطيع هذا ! »

وسقط العود الملتهب على الكيروسين فاندلعت الشرارة
منتشرة فوق السائل ، وسرعان ما لحق بى (علاء) ورحنا
نهبط فى الدرج بينما ألسنة اللهب تتأجج ..

- « لكن هذا سيحضر رجال الإطفاء .. وسوف .. »

قال وهو يلهث لاحقاً بى :

- « لا بد من تدمير هذا السر اللعين .. لن تجد الظاهرة

مكانا تقضى فيه ليلتها ! هذا يشبه ما يفعلونه حين يضعون

صليياً في تابوت مصاص الدماء الفارغ ، لمنعه من العودة
إليه عند الفجر .. »

هنا شعرت بالأرض ترتج تحت قدمي ..

- « (علاء) .. ما هذا ؟ »

- « اركضى ! »

وخرجنا إلى الشارع المقفر المظلم ، حتى إننا خضنا حتى
الكاحلين في بركة الماء الآسن بالخارج ، وأجفل قط كان
يحاول الشرب حين رأنا ننقض عليه ..

ونظرنا إلى الوراء حيث كانت البناية ..

إنها تنهاوى !

لم يحدث هذا على مراحل كما نرى في الصور .. لكنها
هبطت غائصة فجأة كأنما هي قصر من أوراق اللعب هدمه طفل
شقى .. ومع هبوطها تصاعدت سحابة كثيفة من الغبار
جعلتنا لا نرى أيدينا .. ومعها صوت ارتطام مدوّ رهيب كأنه
بركان ينفجر .. ضوء أزرق غريب أحاط بالطابق العلوى
في أثناء هبوطه ثم تلاشى .. وساد ظلام وصمت رهيبين ..
صمت دامس وظلام مطبق إن جاز لي قول هذا ..

قال (علاء) وهو يعتصر كتنفى في توتر :

- « إنها الظاهرة .. كانت في الداخل ! لقد دمرتها النار
ودمرت هي البناية في لحظتها الأخيرة »

إلى حد ما يمكن القول إن الكابوس قد انتهى ..

هذه البناية بحالتها السابقة كانت مهددة فعلاً بالسقوط ،
ولن يندهش أحد لما حدث لها ..

ربما يجدون بعض الجثث بين الأنقاض وإن كنت أشك
في هذا .. سيقولون إنهم أشخاص تواجدوا هنا لسبب ما ..

لا أعتقد أن الأمر انتهى بالنسبة لـ (علاء) ، وأعتقد أنه
سيبحث عن طريقة يخبر بها أقارب المفقودين بما أصاب
نويهم .. لا أعرف كيف ، لكنه سيفعل ..

أرى هذا في عينيه ..

أعتقد أن الوقت قد حان كي نبدأ إجازة حقيقية ، وكى
يعود لنا المرح الذى افتقدناه .. صحيح أنها إجازة قصيرة
جداً الآن لكنها ستكون كافية .. إن هؤلاء القوم طيبون
وأكره أن يفهمونى بشكل خاطئ .

ولكن السؤال الذي يورقنى وسوف يورق (علاء) كثيراً
هو : من قتل (مختار) ؟ هل شخص آخر حلت به الظاهرة
أم الظاهرة نفسها ؟

هل انتهت الظاهرة بموت (مختار) وانتهى البناء
واحتراق المفاعل ؟ أم أننا فقط نريد أن نعتقد ذلك ؟

والسؤال الأهم : اين تلك الأوراق التى تشرح النظرية
بالتفصيل ؟ الأوراق المكتوبة بالبولندية .. نحن لم نجدها فى
أى مكان ، ولا أجسر على التساؤل :

فقط لنأمل ألا تقع فى يد تعرف كيف تستخدمها .. وعقل
شخص يكتشف أنه يجيد البولندية فجأة ..

سيكون هذا مريعاً لو حدث ..

www.dvd4arab.com
تمت بحمد الله
Hany3H

www.dvd4arab.com

الظاهرة

فلنفرض - مجرد الفرض - أن الظاهرة
حقيقة ، ولنفرض أنها تحررت وانتقلت إلى
الدكتور (علاء عبد العظيم) .. لنفرض الآن أنه
يحملها معه إلى مصر .. لنفرض أنه سيجربها
على من يحب ليظفر بنتائج غامضة .. فلنفرض
- مجرد الفرض - أن هذا حدث ، فماذا نتنتظر ؟



د. أحمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com
Hany3H

شاعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطب والنشر والتوزيع
ت. ٤٤٤٤٤٤ - ٤٤٤٤٤٤
القاهرة ١١٩٩٩٩

العدد القادم
H.I.V